الباب الثالث

العدة المادية (الحربية)

يدور الحديث عن العدة الحربية فى العصر الجاهلى فى محيط دعامات ثلاث الأولى وهى الدعامة الإنسانية . وتتمثل فى السمات الجسمية اللائقة للمحارب ثم القيادة الحكيمة للجيش . فالخطط الحربية وتقسيم الجيش . واختيار وقت المقاتلة وأخيرا الهجوم فى شكل جماعات وكتائب .

والدعامة الثانية تتمثل فى الحيوانات التى كان المقاتل يستخدمها آنذاك وغالبا ما كانت الفرس دائما . والجمل أحيانا .

أما الدعامة الأخيرة فهى القتالية . وأعنى بها الأسلحة المستخدمة فى معارك العصر الجاهلى : هجومية أو دفاعية أو إجهازية .

وكان القتال فى العصر الجاهلى يقوم على تناسق اللقاء بين تلك الدعامات وحسن استخدام الرجال للدعامتين الحيوانية والقتالية وتقدير أبعاد المعركة وما يتناسب معها منهما .

كما كان لاختيار مكان المعركة الأثر البالغ فى الانتصار حيث دراسة طبيعة الأرض والمخارج منها وطرق التسلل والدخول إليها . وتحديد الأماكن الهجومية والأخرى الدفاعية . وقربها من مصادر الحياة كمياه الآبار والعيون وبعدها عن شاهق الجبال حتى لا تكون مهابط للموت .

ولم تكن كل هذه الأمور تدور فى «أكاديمية» حربية بل مما تعارف عليه الرجال وتعلموه بفطرتهم وأحسنوا السير عليه وفق طاعة ومشورة للقيادات الشجاعة والفكر المستنير . وقد أبان الشعراء كل هذه المواقف فى نظمهم الذى يدور عليه البحث .

الفصل الأول

الدعامة الانسانية

أ ـ الفتوة وقوتها :

أدرك العرب فى العصر الجاهلى أن القتال بين القبائل يتطلب قوة إنسانية ذات مميزات معينة حتى تكون قوية التأثير فى الأعداء . نافذة فى براعة الأداء . فلم يكن ليختار الشيخ الكهل أو الرجل البدين ، أو من فقد عضوا من أعضائه أو من لا يحسن التصرف فى الأمور . أو من ضعف تفكيره أو حسن تدبيره أو الصبى الطائش . ولكن دأب رجال الحرب أن يختاروا من بينهم من يتمتع بصفة الفتوة وتتمكن منه الفروسية حتى يكون تام الأداء لما يوكل إليه من مهام قتالية . وسمات الفتوة من السمات الجسمية البارزة التى تتطلبها حياة القبيلة وتحرص عليها . وأولها شجاعة فى القتال بغير رهبة أو جبن عند اللقاء مهما كان عدد العدو وعدته حتى يستطيع حماية القبيلة . كما يتطلب فيه أن يكون كريما حتى يصون اسم قبيلته ويرفع ذكرها بين القبائل جميعا . وأن يكون شهما حتى تزداد به الجماعة علواً وشموخاً وأن يكون ذا مروءة ونجدة ليكون عونا لغيره متى يندب لذلك . وغالبا ما ترتبط الفتوة بفترة الشباب من حياة الإنسان وهو القادر جسميا على تصريف أموره . ورعاية غيره من أفراد أسرته أو قبيلته متى طلبوا منه أو رآهم بحاجة إلى عونه ومساعدتهم .

ولقدرة القتالية ظاهرة بينة فى الفتيان عن غيرهم من بنى الإنسان . وقد أدرك شعراء العصر الجاهلى تلك السمة فيهم . فقال عمرو بن كلثوم (١)

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ٣٩٩ .

نصبنا مثل رهوة ذات حد محافظة وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجداً وشيب فى الحروب مجربينا

ومن اعتبار الكر والفر صفة ملازمة للفتوة قول طرفة بن العبد معلنا عن ذاته حين كان قوياً قادراً على دخول المعارك . مجيباً لكل من يدعوه (١)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى
وكرى إذا نادى المضاف محنباً كسيد الفضى نهشه المتورد

وقوله فى معلقته أنه المقصود دائما بفزع القوم إليه ونداتهم عليه وهو المجيب دوماً فى غير تكاسل أو إعتذار .(٢)

إذا القوم قالوا من فتى خلت أننى عنيت فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

وقال الأعشى فى تبيان الفتوة ومكانتها الحربية يمدح بها علية لقوم : وأشجعهم إقداماً فى الحروب . وخوضا للمعارك . وتفريجاً لكرب المغبون وعونا لكل محتاج :(٣)

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره من الناس لم ينهض بها متماسكا

وقوله :(٤)

فى فتية بيض الوجوه إذا لقوا قبيلك يوماً أبلغوه المختتا
إذا اعتفرت أقدامهم عند معرك ثبتن به يوماً فإن كان مزلقا

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٣١٧ .
(٢) المصدر السابق ١ / ٣١٥ .
(٣) المصدر السابق ٢ / ١٢٩ .
(٤) المصدر السابق ٢ / ٣٠٦ .

أما عبيد بن الأبرص فيصف فتية الحرب بليوث الغاب الذين يتحكمون فى كل ما يقع تحت سمعهم وأبصارهم . وأنهم كرام يجودون بأموالهم وأنفسهم ومصدر فزع متى هبوا للقتال فتزلزل الأرض تحت أقدامهم كما تقفز قلوب الأعداء رهبة منهم وفزعاً ولا يقبلون الذل ولا يرضون به لأحد. وتلك بطولة دائمة فيهم :(١)

وفتية كليوث الغاب من أسد ... ماللندى عنهم نزح ولا شحط
بيض بهاليل ينفى الجهل حلمهم ... وتفزع الأرض منهم إذ همو بخطوا
إذا تخمط جبار ثنوه الى ... ما يشتهون ولا يثنون إن حطموا

ومن مثل هذا التصوير بالأسود الضارية للفتيان المحاربين يقول الأعشى :(٢)

وهم إذا الحرب أبدت نواجذها ... مثل الليوث وسم عانق نقعا

وقول أحيحة بن الجلاح فى نفس الصورة للفتيان المحاربين :(٣)

فتيان حرب فى الحديد وشامرين كأسد غابة

ويتحدث لبيد بن ربيعة عن فتيان الحرب بأنهم الأقوياء مثل الأسود . الذين اتخذوا العدة الحربية رداء لهم . وامتطوا الجياد المعودة على القتال وما يتطلبه من كروفر . فهم يحمون العشيرة ويدفعون عنها كل عادى . والكل فى كنفهم آمن على غده . وتلك سمات فتيان المعارك .

وإذا الأسنة أشرعت لنحورها ... أبدين جد نواجذ الأنياب

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ٦٤ .
(٢) ديوان الأعشى قصيدة ١٣ بيت رقم ٤٣
(٣) أيام العرب ٦٩ .

خمسلن فتيان الوغى من جعفر شعثاً كأنهم أسود الغاب
ومدججين ترى المغاول وسطهم وذباب كل مهند قرضاب
يرعون منخرق اللديد كأنهم في العز أسرة حاجب وشهاب
قوم لهم عرفت معد فضلها والحق يعرفه ذوو الألباب

ويتدرج الفتى في سني حياته المتقدمة ليصبح فارساً . فإذا أتصف بهذا الإسم فهو الشجاع المقدام الكريم المنقذ . العاف النفس الذى يحارب من أجل رفعة قبيلته ويقدم روحه فداء لها وهبة لكل منابع الخير والإنسانية . ويدخل الحروب من أجل المعانى السامية بعداً عن السلب والنهب أو الإندفاع دون تحكيم العقل . فكان كل فارس فتى ولم يصبح كل فتى فارساً . إذ انصرف بعض الفتيان فى العصر الجاهلى إلى الإنغماس فى الملذات وشهوات الشباب . بينما آثر معظمهم أن يكونوا القوة الحربية لقبائلهم وشكلوا خطوط الدفاع وقوات الهجوم فى الحروب العديدة ضد من أغار عليهم أو أراد سلبهم رزقهم أو تطاول على مكارمهم . ومن هنا كان للفارس مكانة مرموقة بين قومه ارتبطت بسيادة القبيلة والحفاظ عليها . فالفارس كان يجالس السادة ويتشاور معهم فى كل أمور حياتهم ويخطط لمعاركهم وينفذها .

وكما تناول الشعراء فى العصر الجاهلى الفتيان بالحديث والمدح تناولوا الفرسان ونعتوهم بالشجاعة واحقاق الحق ومناصرة القبيلة ورفعة مكانتها . فهذا ربيعة بن مقروم يفخر بقومه ويصف شدة بأسهم ويخص منهم الفرسان وما حققوه حتى خلدوا ذكر قومهم :(١)

---

(١) المفضليات ١ / ١٩٨١

فقال فى قومه :

بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حسبتهم فى الحديد القروما

وقال فى فرسانهم :

ولولا فوارسنا ما دعت بذات السليم تميم تميما

ويفتخر الفارس بقوة حمايته لقومه فيقول عامر بن الطفيل (١)

لقد علمت عليا هوازن أننى أنا الفارس الحامى حقيقة جعفر

وعن الفوارس الشجعان الذين يتساقط الأبطال صرعى بينهم يقول :(٢)

وعبد بنى برشا تركنا مجدلا غداة ثوى بين الفوارس كازما

وقد أبان عنترة أن الفوارس هم رجال الحرب وقوتها التى يهاب جانبها . فهاهم ينادون الشاعر لثقتهم أن مكانه دائماً فى مقدمة الصفوف ويفرج عنهم كل زحام من الأعداء ، ويفرق شمل كل من حمل على بنى شداد. فيقول(٣)

لقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

فالكلمة للفوارس والسير فى المعركة وفق هواهم ودعوتهم مستجابة ، وعنترة دائما يقودهم بحكمة ورجاحة عقل . فلا يدخلهم فى مأزق يخشاه عليهم ولا يفرط فيهم فهم قوته التى ترد كيد الأعداء عن القبيلة .(٤)

والخيل تعلم والفوارس أننى فرقت جمعهم بطعنة فيصل

إذ لا أبادر فى المضيق فوارسى ولا أوكل بالرعيل الأول

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٦١ .

(٢) المصدر السابق ١٢٥ .

(٣) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٣٧٩ .

(٤) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٣٨٨ .

أما عن هزيمته للفرسان الأقوياء . فيذكر أن من بين صرعاه فارس لم ينازله أحد من قبل خوفاً من شجاعته ولكن نالته طعنات عنتر فقضت عليه (١)

فيهم أخو ثقة يضارب نازلا ... بالمشرفي وفارس لم ينزل

ويوضح في أخرى كيف أنه قضى على جماعة من الفرسان كان يصعب على غيره لقاؤهم ولكنها فروسيته التي لا تقارن : (٢)

ومغيرة شعواء ذات أشلة ... فيها الفوارس حاسر ومقنع
فزجرتها عن نسوة من عامر ... أفخاذهن كأنهن الخروع

إن الدعامة الإنسانية في الحروب الجاهلية كانت تقوم بعملية الاستداد للمعركة والتخطيط لها مما يتناسب والحدث المتحارب من أجله . وكان ذلك يتم بعقد الأحلاف مع القبائل المجاورة . وشراء الخيل والسلاح ووضع الخطط اللازمة . وتأمين جماعاً تحافظ على النساء في أماكن لا يألفها العدو ولا يتكر في اقتحامها وأحيانا كانوا يصطحبونهن معهم إلى أرض المعركة إذا استوجب الأمر ذلك . وكانوا يعدون الطلائع الاستكشافية وهم الذين يطلق عليهم بلغة العصر «الانتحارية». (٣)

وكان أختيارهم للمحاربين بمقاييس معروفة وخصال مألوفة أهمها الشجاعة والبأس والنجدة والقوة . كما اعتادوا في اختيارهم من أحب شرف الموت على ذل العار والخضوع لكل متطاول على القبيلة .

كما كان عدد المقاتلين يقارب المائة في معظم الحروب . وكان هذا

---

(١) مختار الشعر الجاهلي ١ / ٣٩٠ .
(٢) مختار الشعر الجاهلي ١ / ٣٩٣ .
(٣) تاريخ الكامل لابن الأثير ١ / ١٩٦ .

العدد يشكل حروب المناوشات واللقاءات بين القبيلتين فى موقف حربى واحد ويوم مشهود . فقد روى صاحب عيون الأخبار أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل بعض بنى عبس : كم كنتم يوم الهباءة ؟ (أرض لغطفان وكان يومها بين عبس وذبيان وكان النصر فيه لعبس) فقال : كنا مائة كالذهب . لم نكثر فنتواكل . ولم نقل فنذل(١) . غير أنهم كانوا قوة ضاربة مع قلة عددهم . ولم تشهد معارك الجاهلية زيادة فى عدد المقاتلين إلا فى القلة . فكان عدد مقاتلى جيش مذحج فى يوم الكلاب الثانى ثمانية آلاف مقاتل . وقيل إنه لم يعلم جيش فى الجاهلية كان أكبر عددا من جيش مذحج إلا جيش كسرى فى يوم ذى قار (٢) . وقد هزمهم العرب مع قلة عددهم ولكن بفضل شجاعتهم وحسن تخطيطهم للمعركة واستماتة العرب فى الدفاع .

ب — حسن القيادة وصدق المشورة فى الدفاع :

إن القيادة والتخطيط للمعارك الحربية فى العصر الجاهلى كانت منظمة ، فهم قد أدركوا أن المشورة فى أمور الحرب خير من الرأى الفردى وجمع المعلومات عن الموقف الواحد من أكثر من مصدر أمر له نتائجه الحسنة ، فكانوا يؤلفون فيما بينهم ما نعرفه الآن بلغة عصرنا «لجنة الحرب» . فهم أفراد حنكتهم تجارب المعارك وأدركوا أبعادها . ودربوا على أساليبها . وعرفوا مداخلها ومخارجها فى يسر ورجاحة فكر . فكانوا يجتمعون فى حوار حول ما ينبغى إتخاذه من مواقف يكون لها الفوز ، ويخططون للدخول فى المعركة واستمرارها . أو البعد عنها والتريث حتى يراجعوا مواقفهم ويعدوا عدتهم

---

(١) عيون الأخبار ١ / ١٢٥ .

(٢) تاريخ الكامل ١ / ٢٦٠ .

من جديد . فكل فكرهم الحربى محسوب عليهم فلابد أن تكون حساباتهم القتالية بدقة وحسن تدبير .

كما عرفوا خطط تقسيم الجيش إلى مقدمة هجومية وجعلوا فيها شجعان الفرسان وحامل اللواء . وقلب للدفاع عن المقدمة يتقدم متى تقدم لأبطال للنزال وميمنة وميسرة يهجمان فى شكل جناحين على العدو متى حوصر مع القلب ثم مؤخرة تجهز على من أراد الفرار أو أصابه القوم أو يأسرون من رأوه أهلا للأسر .

وكذلك لم تخل خططهم من الاستعانة بالنساء حفزا للهمم ودفعا فرجال وعونا فى القتال . ومساعدة للجرحى . وامداداً بالسلاح . ونقلا لأنباء المعركة وحركة المقاتلين . وكأنهن سلاح اشارة كما يقال الآن .

وكانت القيادة الحربية تتخذ القرار بالإجماع . وتحترم رأى الشيوخ والمجربين للحروب وأصحاب الخبرة فى المعارك العديدة . ويلتزم الجميع به . فإن حدث خلل فى التطبيق عاودوا النظر فيه إلى أن يصلوا إلى الأحسن . والأنسب للموقف الذى استجد أمامهم .

وإن خير مثال يمكن أن يستشهد به عن التشاور ووضع خطة القتال فى العصر الجاهلى ما كان من أمر تشاورهم فى معركة الفرس فى يوم ذى قار . وكان الفرس بقيادة كسرى يفوقونهم عدة وعدداً . وخشيت القبائل من الهزيمة . ولكن حين أدرك القواد وأصحاب الفكر الحربى ضرورة مدروسة الموقف وإعداد عدته والتخطيط السليم له . ونفذوا ما اتفقوا عليه كان النصر حليفهم فى نهاية المعركة .

ولابد من رواية بعض هذا الموقف . فحين اجتمع القوم ورأوا عدة

الفرس وعددهم هابوهم أول مرة وقالوا لقائدهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار : إن اللخى أهون(١) من الوهى وإن فى الشر خياراً . ولأن يفتدى بعضنا بعضاً خير من أن نصطلم جميعا . وقال هانىء بن قبيصة : لا طاقة لكم بجموع الملك وهنا ينبرى لهم حنظلة برأيه قائلا : قبح الله هذا رأياً . لا تجر أحرار فارس أرجلها ببطحاء ذى قار وأنا أسمع هذا الصوت ثم أمر بقبته فضربت بوادى ذى قار . ثم نزل ونزل الناس . فأطافوا به . ثم قال : لا أرى غير القتال . فإنا إن ركبنا الغلاة متنا عطشاً ، وإن أعطينا بأيدينا نقتل مقاتلنا وتسبى ذرارينا وبات القوم يتشاورون فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم يسيرون على تعبية(٢) . ومعهم الجنود والأفيال عليها الأساورة ، وكان نازلا فى بنى شيبان ربيعة بن غزالة السكونى ثم التجيبى هو وقومه . فقال : يا بنى شيبان أما إنى لو كنت منكم لأشرت عليكم برأى مثل عروة العلم (٣) . فقالوا أنت والله من أوسطنا فأشر علينا . فقال : لا تستهدفوا لهذه الأعاجم . فتهلكم بنشابها ولكن تكردسوا كراديس(٤) . فإذا أقبلوا على كردوس شد الآخر . فقالوا : قد رأيت رأيا .

فإذا كان هذا من أمر التشاور فى لقاء العدو فحين ألتقى الجمعان تدارس القواد وأصحاب الرأى الخطوة التالية حتى لا تكون فى الخطة ثغرة ينالهم الفرس منها . فقال كبيرهم حنظلة بن ثعلبة : إن النشاب الذى مع الأعاجم يفرقكم . فإذا أرسلوه م يخطئكم ، فعاجلوهم اللقاء . وابدأ وهم بالشدة . ثم قام إلى

---

(١) اللخى إعطاء المال يريدون أن فقد المال خير من الهلاك .

(٢) تعبية : يعنى بعد اصلاح عدتهم الحربية وتهيئتها للقتال .

(٣) أى برأى سديد .

(٤) الكردوس : قطعة من الخيل .

وضين رحل امرأته فقطعه . ثم تتبع الظعن يقطع وضنهن . فسقطن على الأرض . فقال : ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته . ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذى قار . وآلى على نفسه ألا يفر حتى تفر القبة . وقطع سبعمائة رجل من شيبان أيدى أبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف . وقام هانىء بن مسعود فقال : يا قوم مهالك مقدور خير من نجاء معرور (١). وإن الحذر لا يدفع القدر . وإن الصبر من أسباب الظفر . المنية ولا الدنية . واستقبال الموت خير من استدباره . والطعن فى الثغر أكرم من الطعن فى الدبر . ياقوم جدوا فما من الموت بد . فتح لو كان له رجال . أسمع صوتا ولا أرى قوماً . ويا آل بكر شدوا واستعدوا وإلا تشدوا تردوا .

وقام شريك بن عمرو بن شراجيل فقال : يا قوم إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم . وكذلك أنتم فى أعينهم . فعليكم بالصبر فإن الأسنة تردى الأعنة . يا آل بكر قدماً قدماً .

وجعل الناس يتحاضون ويرجزون . حتى قالت امرأة من عجل :

ان تهزموا نعانق ونفرش النمارق
أو تهزموا نفارق فراق غير وامق

وانبرى حنظلة بن ثعلبة الرأس المدبرة للمعركة يشجع المقاتلين برجز قال فيه:

قد جد أشياعكم فجدوا ما علتى وأنا مؤد جلد
والقوس فيها وترعرد مثل ذراع البكر أو أشد
قد جعلت أخبار قومى تبدو إن المنايا ليس فيها بد

---

(١) معرور : معاب

هذا نمير حية ألد يقدمه ليس له مرد
حتى يعود كالكميت الورد خلوا بنى شيبان فاستبدوا
نفسى فداكم وأبى والجد

ثم قام ابنه يزيد فقال يشجع القوم ويحثهم على الصبر فى القتال :

من فر منكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه
أنا ابن سيار على شكيمه إن الشراك قد من أديمه
يكلهم يجرى على قديمه من قارح الهجنة أو صميمه

ثم جاء عمرو بن جبلة اليشكرى يحث القوم على القتال ويقلل من عدوهم فى أعينهم ، ويحفزهم لخوض المعركة الفاصلة بعد أن تشاور القواد ووضعوا الخطة اللازمة . فلو أنهم نفذوها لكان النصر حليفهم . وإن لا يصبروا على اللقاء ويستبسلوا فى الدفاع فالعار لاحق بهم لا محالة . ولا يستحق الحياة من جبن عند لقاء عدوه أو فرط فى حقه وهان عليه قومه :

يا قوم لا تغرركم هذى الخرق ولا وميض البيض فى الشمس برق
من لم يقاتل منكم هذا العنق فجنبوه الراح واسقوه المرق

وتماسك القوم فى اللقاء ووزعوا أنفسهم وفقاً لخطة حربية محكمة قام بها يزيد بن حمار السكونى — وكان حليفا لشيبان — أطيعونى وأكمنوا لهم كمينا ، ففعلوا ، وجعلوا يزيد رأسهم ، وكمنوا فى مكان يقال له الخبىء . واجتلدوا وحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة بن ثعلبة على ميمنة جيش الفرس . وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الفرس . وخرج عليهم الكمين من الخبىء وعليهم يزيد بن حمار . فشدوا على قلب جيش الفرس حتى انهزم الفرس وتبعتهم بكر .(١)

---

(١) أيام العرب بتصرف ص ٣٣ . محمد أحمد جاد المولى وآخران

فتلك قيادة حكيمة ومشورة طيبة وخطة محكمة وطاعة مطلوبة وصدق فى اللقاء وصبر عند المآزق وطول نفس فى القتال أدى فى آخر الأمر إلى نصر مؤزر للعرب وهزيمة ساحقة للفرس .

ويأتى دور الشعراء يسجلون بعدساتهم الصادقة ما دار فى ذى قار من أحداث عبر عنها كل جيل حتى وقتنا الحاضر . واتخذها الناس نموذجاً للفئة القليلة القوية الإرادة النفسية والعدة الحربية وكيف تهزم الجيش الجرار بحكمة ترابطها وإسناد قيادتها إلى أصحاب الرأى والمشورة . وعدم الاختلاف فيما أمروا به . والإخلاص المتناهى لرد كيد الأعداء . مما جعل الأعشى يقول مفتخرا : (١)

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم ... منا غطاريف ترجو الموت وانصرفوا
لقوا ململمة شهباء يقدمها ... للموت لا عاجز فيها ولا خرف
فرع تمته فروع غير ناقصة ... موفق حازم فى أمره أنف
فيها فوارس محمود لقاؤهم ... مثل الأسنة لا ميل ولا كنف

وأشاد شعراء العصر الجاهلى بما قدمه المحاربون فى المعارك العديدة من مطاردة . وطعن وكر على الأعداء . وحفاظ على العرض والكرامة . وأوضحوا ما فعلت القيادات الفنية عند اللقاء وكيف كانت طاعة المقاتلين دوماً .

فهذا عمرو بن كلثوم يشرح خطة الضرب فى الأعداء مرتبة منظمة حتى يجهز المقاتل البطل على عدوه . (٢) وليثق فى حسن أدائه الذى يحقق النصر .

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٢٨٧ .
(٢) شرح القصائد العشر ٢٢٥ .

نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسمر من قنا الخطى لدن ذوابل أو ببيض يعتلينا
نشق بها رؤوس القوم شقاً ونخلبها الرقاب فيختلينا

وهذا الحصين بن الحمام المرى يندد بخصمه وكيف يلقاه هو ومن معه من الأبطال وما عدتهم الحربية التى تحقق لهم النصر(١) بصدق الدفاع .

ولما رأيت الود ليس بنافعى وإن كن يوماً ذا كواكب مظلما
صبرنا وكان الصبر فينا سجية بأسيافنا يقطعن كفاً ومعصما
يفلقن هاماً من رجال أعزة علينا ، وهم كانوا أعق وأظلما
وجوه عدو والصدور حديثة بود ، فأودى كل ود فأنعما
نطاردهم نستنقذ الجرد كالقنا ويستنقذون السمهرى المقوما
عشية لا تغنى الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفى المصمما
لدن غدوة حتى أتى الليل ما ترى من الخيل إلا خارجيا مسوما

وعن الكر بالرجال والفرسان كخطة سريعة للقضاء على العدو يقول دريد بن الصمة متوعداً فزارة وما أصاب فرسانهم فى كل حالات اللقاء حتى نال منهم وحقق الخطة التى وضعوها عند لقائهم .(٢)

تكر عليهم رجلتى وفوارسى وأكره فيهم صعدتى غير ناكب
فإن تدبروا يأخذنكم فى ظهوركم وإن تقبلوا يأخذنكم فى الترائب
وإن تسهلوا للخيل تسهل عليكم بطعن كايزاغ المخاض الضوارب
إذا أحزنوا تخشى الجبال رجالنا كما استوفزت فدر الوعول القراهب

---

(١) المفضليات ١ / ٦٣ .
(٢) الأصمعيات ١١٨ .

أما أنيف بن حكم النبهانى فيصف ما يحدثه قومه حال لقائهم بالعدو ، وكيف يتصرفون فى استخدام الآلات الحربية المتعددة . وكيف يقدمون حيث يجب الإقدام أو يتصرفون بالفرار حيث يكون ذلك محمودا .(١)

فلما ألتقينا بين السيف بيننا ... صدور القنا منهم وعلت نهالها
ولما تدانوا بالرماح تضلعت ... لسائلة عنا حتى سؤالها
فلما أتينا السفح من بطن حائل ... بحيث تلاقى طلحها وسيالها
دعوا لنزار واتمينا لطيء ... كأسد الشرى إقدامها ونزالها

ومن حسن التدبر فى المعركة أن يفر الإنسان متى كان الفرار ضرورياً ولا عيب فيه كما قال عمرو بن معدى كرب يخاطب أخته وقد فر من بنى عبس : (٢)

لقونا فضموا جانبينا بصادق ... من الطعن مثل النار فى الحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم ... خبطت بكفى أطلب الأرض بالفرس
وليس يعاب المرء من جبن يومه ... إذا عرفت منه الحماية بالأمس

ولأن الفوارس هم الذين يصنعون قرار الحرب وينفذونه وينقذون قومهم بانتصارهم فقد حق للشعراء أن يشيدوا بهم معلنين مكانتهم كقوة ضاربة لا يستهان بها ، يخشاهم العدو ويقدرهم الصديق ؛ وذلك ما عبر عنه أبو كلبة التيمى(٣) حين قال عن انتصار العرب بذى قار :

لولا فوارس لا ميل ولا عزل ... من اللهازم ما فزتم بذى قار
إن الفوارس من عجل هم أنفوا ... من أن يخلوا لكسرى عرصة الدار

---

(١) الحماسة ١ / ١٧٢ .
(٢) العقد الفريد ١ / ١٤٦ .
(٣) النقائض : يوم ذى قار .

لاقـوا فوارس من عجل بشكتها ليسوا إذا قلصت حرب بأغمـار
قد حسنت ذهل بن شيبان ومـا عدلت في يوم ذي قار فرسان ابن سيار

أما قيادة الفارس الشاعر عنترة(١) وحسن تخطيطه للمعركة فتتضح في أبياته التي يعبر فيها كيف قاد قومه ونزل أمامهم حتى كان قدوة وقلدوه حتى تحقق لهم النصر .

لما سمعت دعاة مرة إذ دعـا ودعاء عبس في الوغى ومحلـل
ناديت عبساً فاستجابوا بالقنـا وبكل أبيض صارم لم ينحـل
حتى استباحوا آل عوف عنـوة بالمشرفي وبالوشيج الذبـل
إني امرؤ من خير عبس منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصـل
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحمـوا أشدد وإن يلفو بضنك أنـزل
حين النزول يكون غاية مثلنـا ويفر كل مضلل مستوهـل

ومن عادة المقاتلين في العصر الجاهلي القدوم للحرب يرفعون الرايات ، ويحملون اللواء معلنين عن أنفسهم ، ليرهبهم من يخشاهم . ويجتمع إليهم من يحالفهم وقد أبان الشعراء عن هذا الموقف بأنه مادام اللواء مرفوعاً أثناء القتال فلازال القوم في حالة حربية مطمئنة وتدعو للتفاؤل . فكانوا يحرصون عليه مرفرفاً دوماً بعثاً للشجاعة وحثا على القتال .

وقد عبر عنترة في أكثر من موقف عن ذلك بقوله :

فلما إلتقينا بالجفـار تضعضعـوا وردت على أعقابهن المسالـح
وسارت رجـال نحو أخرى عليهـم الحديد كما تمشي الجمـال الدوالح

---

(١) مختار الشعر الجاهلي ٣٨٧
(٢) مختار الشعر الجاهلي ٤٠٧ .

إذا ما مشوا في السابغات حسبتهم ... سيولا وقد جاشت بهن الأباطح
فأشرع رايات وتحت ظلالها ... من القوم أبناء الحروب المراجح

وقال في موقف آخر عن رفع اللواء واصطفاف المقاتلين تحته :(١)

سائل عميرة حيث حلت جمعها ... عند الحروب بأي حي تلحق
أنحى قيس أم بعنترة بعدما ... رفع اللواء لها وبئس الملحق

ومن حسن القيادة أن يختار القائد جنوده ويتحرى فيهم سمات الشجاعة والإباء والقوة والإقدام وعدم الجبن أو الخور . فهم وإياه قوة ضاربة . بهم وبعزائمهم يتحقق النصر وتنفذ الخطط . وعليهم مجتمعين تقع مسئولية حماية العشيرة والدفاع عن كل ما تملك من أرض وعرض وشرف .

فيتحدث عنترة عن صحبه في الحرب وكيف وزع العمل الحربي بينهم حتى صار متكاملا وحقق كل منهم ما أسند إليه بشجاعة وبأس .(٢)

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ... ليلا وقد مال الكرى بطلاها
وسريت في وعث الظلام أقودهم ... حتى رأيت الشمس زال ضحاها
ولقيت في قبل الحجير كتيبة ... فطعنت أول فارس أولاها
وضربت قرني كبشها فتجدلا ... وحملت مهري وسطها فمضاها
حتى رأيت الخيل بعد سوادها ... حمر الوجوه خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النجيع جوافلا ... ويطأن من حمى الوغى صرعاها
فرجعت محمودا برأس عظيمها ... وتركتها جزراً لمن ناواها

وبضمير الجماعة يتحدث الشاعر الفارس عامر بن الطفيل(٣) عن قيادة

---

(١) المصدر السابق ٤٠٣ .
(٢) مختار الشعر الجاهلي ٤٠٩ .
(٣) ديوان عامر بن الطفيل ١٢٨ .

الخيل والإقدام وحماية العشيرة وحسن الدفاع عنها . وسلب من أراد بهم السوء والتنكيل بكل الأعداء . وكأنى به ومن معه من الرجال وقد امتلأوا فزعاً ورعباً لمن عاداهم :

ألسنا نقود الخيل قبا عوابساً ... ونخضب يوم الروع أسيافنا دماً
ونحمى الذمار حين تشتجر القنا ... ونثنى عن السرب الرعيل المسوما
ونستلب الحو العوابس كالقنا ... سواهم يحملن الوشيج المقوما

وهذا السموأل يتكلم عن شجاعته وصحبه (١) :

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير السيوف تسيل

ومن عادة المقاتل الحميدة أن ينال خصمه علانية ، فمن اطمأن إلى قوته ومن معه ظهر واضحاً أمام عدوه وأثبت مكانته ، وهذا ما أشاد به عنترة حين قتل قرواش العبسى (٢) :

ألا أبلغ بنى العشراء عنى ... علانية فقد ذهب السرار
قتلت سراتكم وخسلت منكم ... خسيلا مثلما خسل الوبار
ولم نقتلكم سراً ولكن ... علانية وقد سطع الغبار

ومن مألوف الحرب فى الجاهلية أنهم كانوا يرسلون أمام الجيش العيون يتقدمونهم ليعرفوا سر العدو ولهم رئيس يخبر القوم بما يرى . وكان يختار من أشد الجنود ذكاء وجرأة وأحدهم نظراً — وهو ما نطلق عليه الآن الكشاف أو المستطلع — وهذا الشخص يقدر الفرصة السانحة لهجوم قومه ، ويمكنه تحديد جهة الهجوم ويعطيهم الإشارة المتفق عليها . والقوم فى انتظاره على

---

(١) العقد الفريد ١ / ١١٨ .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ٤١١ .

ابلهم ومعهم متاعهم وبصحبتهم خيولهم حتى تأتى دورها فى المعركة فلا تهلك من الأحمال وعثرات الطريق . فإذا جاءتهم الإشارة أناخوا الإبل وجهزوا عدتهم القتالية وانطلقوا بخيولهم . ويقسمون أنفسهم من قبل ذلك كتائب وجماعات قتالية .

وفى هذا الموقف يقول زهير بن أبى سلمى : (١)

ينظر فرسانهم أمر الرئيس وقد ... شد السروج على أشباجها الحزم
يمرونها ساعة مرياً بأسؤقهم ... حتى إذا ما بدا للغارة النعم
شدوا جميعاً وكانت كلها نهزاً ... تحشك دراتها الأرسان والجذم

جـ — اختيار زمن المقاتلة :—

ومن صميم عمل وواجبات القوة المقاتلة اختيار زمن القتال ، وهذا ما ينبه إليه رجال الحرب فى العصر الجاهلى ؛ فهم الذين كانوا يختارون الوقت الملائم للهجوم — وهو ما يطلق عليه بلغة العسكريين الآن ساعة الصفر — فلم تعرف عنهم حرب المباغتة والخديعة . ومن فعل ذلك فيمكن أعتباره من الصعاليك ولا يدخل فى زمرة المحاربين الأشراف إلا من علم جنده بعلامات مميزة وأختار لهم وسائل يتعارفون بها ، وأعلن للقوم عن عزمه فى قتالهم ، بصرف النظر عما كان يتخذ من أساليب استكشافية أول الأمر قبل الدخول فى الحرب فهذه أمور تنظيمية تقتضيها ظروف كل جيش .

والباحث فى تاريخ الحروب الجاهلية يجد أنها كانت تقع أول النهار ، وربما أعد القائد عدته وجمع رجاله وجهز جيشه ليلا حتى إذا كان انجلاء ظلامه إذا هم يزحفون ثم ينطلقون مع خيوط النور الأولى . ويستمر قتالهم

---

(١) ديوان زهير ١٥٩ .

سحابة النهار فإذا جن عليهم الليل يركنون إلى الراحة واصلاح أمتعتهم ومراجعة حساباتهم الحربية فى التقدم أو وضع الخطط اللاحقة أو تغيير الخطط القائمة أو جمع موتاهم أو إعادة تجهيز صفوفهم المقاتلة من جديد .

ولعلهم أدركوا أن عدتهم القتالية من انسان أو حيوان ما كانت تقوى على مواجهة الظلام وصعوبة التحرك والتميز فيه ، فكان الأولى بهم أن يثبت كل فريق فى مكانه لينطلق منه مجددا الحرب أو عقد الصلح أو الانسحاب تحت جح الظلام ففيه أمان من الغدر وحفاظ على العدد الباقى من الجنود . ولم تكن عدتهم الحربية بالمضيئة أو المشعة كما نشاهد الآن حتى يستمر قتالهم ليلا ونهاراً .

وقد أدرك شعراء العصر الجاهلى اختيار المقاتلين للزمن المناسب للمعاركة وتناولوه بعرض أفكارهم حول هذا الموقف . حتى ان بعضهم تناول الصباح وما كان يسعى فيه شباب الجاهلية إلى الشرب واللهو إلى أنه تحول إلى لون لشراب آخر فشتان بين مشتهى الاصطباح من الراح وبين مبتغى الشرب من دم الأعداء صراح .

فهذا عروة بن الورد يصرح متى التقوا ببنى عامر وكيف كان اللقاء بعدته ايشرية والحربية الفتاكة (١) .

ونحن صبحنا عامراً فى ديارها ... علالة أرماح وضرباً مذكرا
بكل رقيق الشفرتين مهند ... ولدن من الخطى قد طر أسمرا
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ... ومقتلهم تحت الوغى كان أجدرا

---

(١) الكامل لابن الأثير ١ / ٦٤٤ .

أما عمرو بن كلثوم فيعدد من لاقوهم من الأبطال صباحاً وتمكّن جيشه من الفتك بهم .(١)

صبحناهـــن حـراب بن قيـس وجعـدة مـن بنى كعـب بن عمرو

أما قيس بن الخطيم فيبين كيف كان صباح قومه لخصومهم فقد اختاروا للضربة الأولى فى الصباح الفوارس الشجعان الأقوياء . الذين يرهبون الأعداء ويحطمون معنوياتهم عندما تسدد إلى نحورهم أول طعنات من هؤلاء الفوارس وكذلك لم يكن هجومهم فى شكل مباغتة أو لقاء فردى بل كانوا كتلة بشرية تشبه الغارة المدمرة التى لا تبقى ولا تزر .(٢)

صبحنـــاكم منا بـه كـل فـارس كـريم النشا يحمى الذمـار ليحمدا
صبحناهم عنـد اللقـاء بغـــارة فأصبح قيس بعدها متلـددا (٣)

ومن شعر المقاتلة فى فترة الصباح ما قاله عامر بن الطفيل من أن تـلك الفترة كانت عند العدو فترة هدوء واسترخاء . فما لبثوا أن هوجموا فتفرقوا فى كل جهة كما تتفرق النعاج أرهبها الذئب . فنالوهم بسيوفهم حتى قضوا عليهم ثم تبعوهم بسبى نسائهم اللاتى تفزعن مما لحق بالقوم وبهن .(٤)

لقينـا جمعهم صبحـاً فـكانوا كمثـل الضـأن عاداهـن سيـد
لقيناهم ببيـض مرهفـــات نقتلهـم بهـا حتى أبيـــدوا
وأردفنـــا نســاءهم وجئنـــا وقـد دميـت من الخمش الخـدود

---

(١) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ١ / ٤٣٤ .
(٢) ديوان قيس بن الخطيم ١٥٣
(٣) الشنا : مايخبر به عن المرء حسن أو سوء .
(٤) ديوان عامر بن الطفيل ٥٠ .

وهذا قيس بن الخطيم يذكر أن أصدق لقاء يكون بين قومه ومن عاداهم هو لقاء الصباح . فترة الانتعاش والنشاط . وهم يحرصون عليها حتى ولو كان كل شيء فيها مشحون بالهلاك ومحاط بما لا تحمد عاقبته .(١)

ونصدق في الصباح إذا ألتقينا ولو كان الصباح بجحيم جمر

وكثيرا ما نعت الشعراء غارات قومهم في الصباح بأنها شديدة فتاكة . يخشاها الناس ويتقون شرها لما تحمله من نشاط بشرى لا قبل لهم بمواجهته . حتى إن الفزع الذى اعتراهم أجهز على رجالهم وأصاب نساءهم بالترف الذى لا حياة ترجى معه . وحتى يمعن الشاعر في قوة غارة قومه جعلها تقضى على الرجال ثم النساء الحبالى ثم إسقاط الأجنة بعد أن تصاب الحبالى النزف والبول الدموى القاتل .(٢)

ونحن صبحنا حى أسماء غارة أبالت حبالى الحى من وقعها دماً

أما الشاعر عوف بن عطية فيتحدث عن لقاء الصباح وكيف استطاعوا أن يذلوهم ويأسروا منهم الكثيرين ويسبوا النساء في فزع واضطراب .(٣)

ولنعم فتيان الصباح لقيتم وإذا النساء حواسر كالعنقرى
من بين واضعة الخمار واخنها تسعى ومنطقها مكان المئزر
ونكر أولاهم على أخراهم كر المحلا عن خلاط الصدر

وكذلك ما قاله الحارث بن عباد حين تجنب الحرب بين بكر وتغلب(٤) أصبحت وائل تعج من الحرب عجيج الجمال بالأثقال .

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ١٢٢ .
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ١٢٩ .
(٣) المفضليات ٦٤٧ .
(٤) شعراء النصرانية ١٧١ .

أما إصباح القوم بكأس الموت وهو الاختيار الحسن للقاء الحربى فما قاله عامر بن الطفيل يذكر غارة له صبح فيها بنى عبس بكأس مسمومة وفتك ببنى مرة .(١)

صبحنا الحى من عبس صبوحاً بكأس فى جوانبها الثيل

وما قاله قيس بن الخطيم .(٢)

صبحنا بها الآطام حول مزاحم قوانس أولى بيضنا كالكواكب

وقول المعقر البارق :(٣)

وصبحهم عند الشروق كتائب كأركان سلمى سيرها متواتر

وعن الاصطفان لبدء الهجوم صباحاً قول الحارث بن عباد :(٤)

فاصبحوا ثم صفوا دون بيضهم وأبرقوا ساعة من بعد ما زعدوا

وقول الأعشى الذى يوضح أن الحرب بدأت مع بزوغ الفجر واستمرت حتى ضحى النهار وكانت تطحن القوم طحناً :(٥)

صبحوا فارس فى وأد الضحى بطحون فخمة ذات صبح

وعن قضاء المساء فى سن الأسلحة وشحذها واصلاح العدة الحربية حتى إذا كان الصباح جاء معه هجوم المقاتلين يقول الطفيل الغنوى :(٦)

فباتوا يسنون الزجاج كأنهم إذا ما تنادوا خشرم متحدب

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٩٤ . ٧

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ١٣ .

(٣) النقائض ٦٧٦ . (ط أوربا)

(٤) شعراء النصرانية ٢٧٧ .

(٥) ديوان الأعشى قصيدة ٣٦ .

(٦) ديوان الطفيل الغنوى ٢١ .

وممن تركوا الأحياء تنعى من كان فيها الشاعر عامر بن الطفيل وقومه الذين نالوا خصمهم بالعدة الحربية وخلفوا أتباعهم قتلى يبكيهم ذووهم :(١)

ونحن صبحنا حي أسماء بالقنا ونحن تركنا حي مرة مأتما

وعن كأس يصبح بها القوم قوله :(٢)

وصبحنا عبساً ومرة كأساً في نواحي ديارهم فاسبطرت

وكذلك قول الحارث بن عباد في اصباح قومه للأعداء وكأنهم يتجرعون كؤوس المنايا صافية عند اللقاء :(٣)

ولقد صبحناهم بالبيض صافية عند اللقاء وحر الموت يتقد

وكذلك قول عبيد بن الأبرص :(٤)

ونحن صبحنا عامراً يوم أقبلوا سيوفاً عليهن النجاد بواتكا

وقول دريد بن الصمة حيث صبح الخصوم بالسيوف والرماح ويطلب منهم ألا يفزعوا فعند قومه المزيد الذي يهدىء من روعهم ويسكنهم للأبد(٥)

صبحنا فزارة سمر القنا فمهلا فزارة لا تضجروا

أما زيد الخيل فيبرز لنا في صورة مختصرة كيف كان القوم يتقدمون لملاقاة الأعداء ويجهزون أنفسهم ليلا فإذا كان الصباح كانت لهم الغارة الشعواء التي تبدأ بها الحرب :(٦)

بتنا نزجي نحوهم ضمراً معروفة الأنساب من منسر

حتى صبحناهم بها غدوة نقتلهم قسراً على ضمر

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ١١٧ .
(٢) المصدر السابق ١٠٥ .
(٣) شعراء النصرانية ٢٧٨ .
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص ٥٢
(٥) الأغاني ١٦ / ٤٧ .

وعن المفاجأة فى لقاء الخصوم يقول قرة بن قيس بن عاصم فى يوم ثيتل وهو يوم تميم على بكر . كيف فاجأ جيشه بنى بكر حتى هزمهم . وكان قد رصد مكان اجتماعهم ودبروا اللقاء صباحاً على خيول مدربة على الحروب حتى حققوا النصر : (١)

أنا الذى شق المزاد وقد رأى ... بثيتل أحياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم ... فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابساً ... إذا الماء من أعطافهن تحدرا

وهذا يوم لبكر على تميم فى يوم الزورين وفيه قال الأعشى مشيدا بانتصارهم وكيف استطاعوا ذلك بعد أن صبحوا القوم ونالوا منهم ما أرادوا (٢)

يا سلم إن تسألى عنا فلا كشف ... عند اللقاء . ولسنا بالمقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا ... جيش الزويرين فى جمع الأحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم ... بالشيب منا وبالمرد الغطاريف
تستأنف الشرف الأعلى بأعينها ... لمح الصقور علت فوق الأظاليف

أما الشاعر خداش بن زهير فيعطى لنا صورة عن ليل المقاتلين وصباحهم وكيف كانوا يقضونه فى ترميم الأسلحة . وتعليم المقاتلين بعلامات مميزة ، وإصلاح كل العدة المقاتلة . ويبرز منها ما وقع فى يوم شمطة بين قيس وكنانة تساندها قريش . وكانت الدائرة على كنانة وحليفتها فقال : (٣)

بأنا يوم شمطة قد أقمنا ... عمود المجد إن له عمودا

---

(١) أيام العرب ١٧٦ محمد جاد المولى وآخران .
(٢) العقد الفريد ٣ / ٣٤٢
(٣) أيام العرب ٢٣٢ . محمد جاد المولى وآخران .

فبتنـــ نعقـــد السيما وباتـــــوا وقلنا صبحوا الأنس الجديدا (١)
فجاءوا عارضـــاً بـــرداً وجئنا كما أضرمت فى الغاب الوقـودا

وهذا رشيد بن رميض العنزى يصف لنا ما كان من يوم الشيطين وكان بين بكر وتميم وفيه انتصر بكر .(٢)

وما كان بـين الشيطين ولعلـــــع لنسوتنـــا إلا منـــاقل أربـــــع
فجئنـــا بجمـــع لم ير الناس مثلـه يكاد له ظهر الوريعة يظلع (٣)
بأرعن دهم تنشـــد البلـق وسطـه لـه عارض فيـه المنيـــة تلمـــع
صبحـــا بـه سعـداً وعمـراً ومالكاً فظل لهم يوم من الشر أشنـــــع

وهكذا يضيق مجال البحث عن ذكر كل النصوص التى حوت اختيار المقاتلين فى العصر الجاهلى الصباح وقتا للهجوم . ولعلهم أدركوا أن الناس فيه أكثر نشاطاً وأن خيولهم أشد كراً وانطلاقاً خاصة بعد جوع الليل وظن الإنطلاق إلى المرعى . وخلو بال المقاتلين إلا من منازلة الأبطال ومصرعهم .

د - القتال الجماعى :

كما ألف المقاتلون العرب فى الجاهلية أن غاراتهم الحربية فى الصباح تعودوا أن لا يقاتلوا إلا فى شكل جماعات وكتائب حتى تقوى شوكتهم ، ويرهب العدو عددهم وقوتهم . وقد أدركوا أن فكر الجماعة يفوق فكر الفرد . وكذلك قوتهم مجتمعين تؤدى مالا يستطيعون تأديته متفرقين . وقد فطن شعراؤهم إلى هذا المظهر الإجتماعى فى الحرب . فتحدثوا عند الفخر

---

(١) سيما : العلامات + الأنس : الحى المقيمون .
(٢) أيام العرب ٢١٨ محمد جاد المولى وآخران .
(٣) الوريعة : اسم فرس .

بلسان جماعة المتكلمين . ووصفوا بضمير الغائب للجماعة أو المخاطب لهم . وفى هذا النسق من النظم بلاغ عن الاتحاد الذى يؤلف بين مجموعة من أفراد القبيلة الواحدة إذ يسعون كلهم لهدف معين . ورغبتهم تحقيق نصر مؤزر وردكيد عدو يتربص بهم الدوائر .

ولعل المقاتلين فى العصر الجاهلى أدركوا أن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية . فاصطفوا فى هيئة رجل واحد ، وتقدموا بإشارة واحدة وأطلقوا يشد بعضهم أزر بعض . ويساند صحيحهم مصابهم ويكون تفكيرهم دوماً بقاء العشيرة والقبيلة رهن بدفاع أبطالها وقوة تماسكهم .

وإذا كان بعض الشعراء قد استخدم ضمير المتكلم المفرد حين فتخر بفروسيته واقدامه فغالبا ما نراه يعود إلى ضمير الجماعة ويثنى على المقاتلين ويبين مكانتهم وقدرتهم الدفاعية أو مدى نجاحهم فى مهمتهم القتالية . وهذا دليل قاطع على أن الحركة الجماعية كانت شائعة بين صفوف المقاتلين آنذاك وأن وصف البطولة يلحق بالكل . ونداء المتغيث لا يقصد به الفرد بل كان يبغى فى كل حالاته نجدة الجماعة وقوتها حتى يكون تأثيرها أوقع وأشد .

وهذا الذى عناه الشاعر المرقش الأكبر بقوله الذى تضمن التحدث لسان الفرد والجماعة للنجدة الحربية . وجماعية القتال .(١)

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... ولو نسام بها فى الأمن أغلينا
بيض مفارقنا تغلى مراجلنا ... نأسوا بأموالنا آثار أيدينا
إنى لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة : ألا أين المحامونا
لو كان فى الإلف منا واحد فدعوا ... من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

---

(١) شعراء النصرانية ٢٨٧ .

إذا الكماة تنحو أن يصيبهم حد الظبات وصلناها بأيدينا
ولا تواهم وإن جلت مصيبتهم مع البكاة على من مات يبكون
ونركب الكره أحيانا فيفرجه عنا الحفاظ وأسياف تواتينا

• كذلك قول عمرو بن كلثوم فى معلقته حين تحدث بلسان الجماعة

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحينا
قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا
نطعن عن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا
نشق بها رؤوس القوم شقاً ونختلب الرقاب فتختلينا
ونحن إذا عماد الحى خرت على الأحفاض نمنع من يلينا
نجذ رؤوسهم فى غير بر فما يدرون ماذا يتقونا

وهنا يتضح القتال الجماعى المنظم والذى سار فيه الشاعر أن الكل قد وحد كلمته فى احتقار من أهانه ، ثم وحد صفوفهم فى لقاء من تطاول عليهم.

وجماعية القتال كقوة حربية تتضح فى شعر عنترة فى غير قصيدة ، فرغم أنه من الفرسان المعدودين ومن أوائل شعراء الحرب . فإنه كان يتحدث عن نفسه وعن جماعته بما يضفى على الجميع صفة البطولة القتالية التى تحقق النصر دوماً فيقول عن إلتحامه مع قومه : (١)

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
ولقد شفى نفسى وابرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقوله بلغة الجمع فى موقف آخر من مواقفه القتالية : (٢)

---

(١) مختار شعر الجاهلى ٣٧٩ .
(٢) المصدر السابق ٣٨١ .

ونحن منعنا بالفروق نساءنا ... نطرف عنها مشعلات غواشيا
حلفنا لهم والخيل تردى بنا معاً ... نزايلكم حتى تهروا العواليا
وإنا نقود الخيل حتى رؤوسها ... رؤوس نساء لا نجدن فواليا

وكذلك قوله فى يوم عراعر وكان لعبس على بنى حنيفة فقال يصف بلسان الجماعة المقاتلة (١) :

ألا هل أتاها أن يوم عراعر ... شفى سقماً لو كانت النفس تشتفى
فجئنا على عمياء ما جمعوا لنا ... بأرعن لا خيل ولا متكشف
فظلنا نكر المشرفية فيهم ... وخرصان لدن السمهرى المثقف

ومن ذلك قوله مما يوضح انطلاقهم فى جماعات قتالية حتى تفتك بالأعداء (٢) :

وفوارس لى قد علمتهم ... صبر على التكرار والكلم
كنا إذا نفر المطى بنا ... وبدا لنا أحواض ذى الرضم
نعدى فنطعن فى أنوفهم ... نختار بين القتل والغنم

وقد وصف قريط بن أنيف العرب فى العصر الجاهلى حين يفزعون للقاء عدو أو نجدة مستغيث بصورة مجملها أنهم سراعاً دائما إذا ما بدت لهم مفاجأة اللقاء الحربى وكأنهم يطيرون إلى ساحتها جماعات متآلفة لكنهم يتحفظون عند شن غارة عليهم فيواجهونها فرادى حتى لا يؤخذوا على غرة ، فقد أدركوا لكل لقاء رجاله ولكل معركة دعامتها . وتمنى الشاعر أن تكون تلك الصفة من كل القبائل حتى يأمن كل إنسان على حياته وأمواله بينهم ، فتلك

---

(١) المصدر السابق ٣٨٢ .
(٢) المصدر السابق ٣٩١ .

شهامة الجماعات العربية التى تتطلبها حياة البداوة كما عينها فى بنى مازن فقال(١)

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا
لكن يطيرون أشتاتا إذا فزعوا ... وينفرون إلى الغارات وحدانا

ويعبر شاعرهم(٢) أنهم لا يهتمون بالبحث فى الأنساب أو يعيبهم أن يكون أبوهم معروفاً أو من علية القوم فينتسبون إليه ففى ذلك شرف لهم ولكن الشرف كله فى أن يحرصوا أن يكونوا من قوم يحاربون ويقاتلون جماعات متراصة أحقاقاً للحق ورفعا للظلم ، وكل واحد منهم يعتبر نفسه مسئولا مسئولية كاملة حول أمن الجماعة ومكلف بنجدة الآخرين :

إنا بنى نهشل لا ندعى لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا
إنا لمن معشر أفنى أوائلهم ... قيل الكماة ألا أين المحامونا
لو كان فى الإلف منا واحد فدعوا ... من فارس ؟ خالهم إياه يعنونا

وكان الشعراء يمدحون الفرسان متى قادوا عشيرتهم لحرب وانتصروا فيها فهذا ابن القائف أخو بنى ثعلبة يشيد ببطولة فرسان بنى ضبة الذين هزموا إياد فى يوم بزاخة وقتلوا منهم الكثيرين واستردوا حقهم المغصوب . وذلك بفضل انطلاقهم فى عصبة قوية . وتحركهم الجماعى الموفق حتى صاروا قوة ضاربة لا يستهان بها ويحسب الكل حسابهم ويقدر بأسهم (٣) .

---

(١) عيون الأخبار ١٨٨ .
(٢) المصدر السابق ١٩٠ .
(٣) النقائض ١٩٥ (ط أوربا)

نعم الفوارس يوم جيش محرق ... لحقوا وهم يدعون يافل ضرار
زيد الفوارس كر وابنا منذر ... والخيل أو جفها بنو جبار
حتى سموا لمحرق برماحهم ... بالطعن بين كتائب غبار
جعلوا لعافى الطير منهم وقعة ... صرعى تضور فى قناً أكسار
لولا فوارسهن قظن عواطلا ... فى غير ما نسب ولا إصار

والدعامة الإنسانية المقاتلة فى حروب الجاهلية عرفت أن الحرص على النساء واعراضهن من أثمن ما يدافع الانسان عنه . ولذلك كان تحركهم وسطوهم دوماً فى الحروب من أجل الحفاظ على الديار وما حوت من حرائر أو عنصر نسائى أيا كان . فهذا عنترة العبسى الفارس الشجاع يصرح فى احدى قصائده فى يوم الفروق من أيام عبس وذبيان كيف دافعوا عن النساء وجعلوه هدفهم الأول فى لقاء الخصوم . مؤمنين بأن من ذل حريمه أصابه العار أبد الدهر . ومن ديس عرضه لا حياة له .

وقد جمع الشاعر وزملاء سلاحه قوتين فى هذا الموقف القتالى القوة النفسية وتلك الحربية حتى جاء شعره خير معبر عنهما فى وقت واحد . (١) خاصة وأنه تكلم بضمير الجمع .

ونحن منعنا بالفروق نساءنا ... نطرف عنها مبسلات حواشيا
حلقت لها والخيل تدمى نحورها ... نفارقكم حتى تهزوا الواليا
ألم تعلموا أن الأسنة أحرزت ... بقيتنا لو أن الدهر باقيا
ونحفظ عورات النساء ونتقى ... عليهن أن يلقين يوماً حازيا

وما أحسن ما نظمه ضرار بن الخطاب الفهرى فى يوم عكاظ حين انتصرت

---

(١) أيام العرب ٢٦٧ . محمد أحمد جاد المولى وآخران

كنانة وقريش على هوازن بسبب توحد قوى الرجال والتحرك الجماعى المرتب والسعى إلى هدف واحد . وكان مع هوازن خلفاء عديدون غير أنهم ولوا الأدبار حتى رأى بأس جيش كنانة وقريش وحملتهم على قريش ومن والاهم حتى هرب الفرسان منهم إلى خباء النساء طلبا للنجاة وعايروهم بذلك .(١)

ألم تسأل الناس عن شأننا ... ولم يثبت الأمر كالحابر
غداة عكاظ إذا استكامت ... هوازن فى كفها الحاضر
وجاءت سليم تهز القنا ... على كل سلهبة ضامر
وجئنا لهم على المضمرات ... بأرعن ذى لجب زاخر
فلما التقينا أذقناهم ... طعانا بسمر القنا العاثر
ففرت سليم ولم يصبروا ... وطارت شعاعاً بنو عامر
وفرت ثقيف إلى لاتها ... بمنقلب الخائب الخاسر
وقاتلت العنس شطر النهار ثم تولت مع الصادر

(١) أيام العرب ٣٣٥ . محمد جاد المولى وآخران.

الفصل الثانى

الدعامة الحيوانية فى الحروب الجاهلية

أ ـ الابل ومهامها القتالية :ـ

إن الدعامة الثانية فى معارك الجاهلية هى الدعامة الحيوانية ؛ وذلك لأن المقاتل آنذاك لم يكن ليدرك هدفه سيراً على الاقدام ، أو مستخدماً عدة ناقلة سواه . فإذا نسب نصر فى حرب من حروبهم إنما ينسب إلى ذكاء المحارب وشدة بأسه وحسن تدبيره ، وإلى قوة راحلته المحاربة التى كانت له عونا فى كل مواقف الشدة ومكامن الخطر .

ودعامة الحرب الجاهلية الحيوانية كانت تشتمل فى الغالب على حيوانين من أحب الحيوانات إلى العربى وأقربها مودة إليه ، تلكم الناقة والفرس . وكانت رسالة الناقة الحربية رسالة محدودة قصيرة ، بينما طالت مواجهة الخيل لويلات الحروب وعاصرت مصائبها .

أما رسالة الإبل فى الحرب فكانت ذات شقين :

الشق لأول وهو حمل الأمتعة الحربية والمحاربين حتى مكان المعاركة تخفيفاً عن الخيول المحاربة التى كانت تسير جنبا إلى جنب بغير حمولة معها حيث دورها الكر والفر والعدو فى ساحة الحرب عند لقاء العدو .

والشق الثانى أن النساء كن يستخدمنها مخابىء لمن ليؤدين دورهن فى المعارك وأحيانا يطلقونها تندفع بين صفوف الأعداء المقاتلين فتصيبهم بالفزع وتفرق جمعهم فيسهل تناولهم من حيث تفرقوا .

وكما كانت للإبل رسالة فى الحرب وإشعالها كانت لها رسالة فى إخماد نارها إذ تقدم دية للقتلى . فإنها أغلى ما يمتلك العربى فيقدمه عوضا عمن جنت يداه .

وقد أدرك العرب مكانة الإبل فى الحروب ونعتوها بصفات لازمة لناقة الحرب وحملها . فقيل لبنى عبس : أى الإبل أصبر عليكم فى محاربتكم ؟ قال : الرمك الجعاد . قيل فأى الخيل وجدتم أصبر ؟ قالوا : الكمت المحجل.(١)

وقدم العرب الإبل والخيل فداء للأسرى والسبايا ، واختلف فى قيمة الفداء للرجل لمكانته من العشيرة . فأحيانا كانت خمسمائة من الإبل ، وقد كانت فداء لحاجب بن زرارة لما أسر يوم شعب جبلة ، وأحيانا مائتين فداء لعمرو بن عمر وأحيانا ألف بعير وفرس كما كان فى فداء أخى النعمان بن المنذر لأمه .(٢)

بينما كان فداء المرأة مائة من الإبل وخمسة أفراس كما فديت بها حسينة بنت عمرو بن الحارث .(٣)

وعلى تلك الصورة يمكن أن نرى أن مكانة الإبل فى الحرب كانت ذات أثر قوى وجانب لا يستهان به . بالإضافة إلى أنها تعتبر مال القوم فى حالة السلم يثمرونها ويستكثرون منها بكل إمكانياتهم حتى صارت هدفا وسببا مباشرا للغارات فيما بينهم ، فلم يؤثر عن العرب أنهم أغاروا طمعاً فى الاستيلاء على ثروة حيوانية غير الإبل ، ولذا نجد البطولة فى دفع الهجوم على القوم سلبا لإبلهم أو نهباً لها من أيديهم ، فهى مالهم وقوام حياتهم التى ينبغى المحافظة عليه

---

(١) عيون الأخبار ١ / ١٦١ .
(٢) الكامل لابن الأثير ١ / ٢٤٤
(٣) أشعار النساء للمرزبانى ٥٧ .

ولهذا نجد لقيط الأيادى الشاعر الجاهلى يحذر قومه ضد غارة كسرى وألا تلهيهم أموالهم وهى إبلهم عن مجابهته .(١)

لا تلهكم إبل ليست لكم إبل ... إن العدو بعظم منكم قرعا
لا تشعروا المال للأعداء إنهم ... إن يظهروا يحتووكم والتلاد معا
هيهات لامال من زرع ولا إبل ... يرجى لغابركم إن أنفسكم جدعا

ويروى صاحب العقد الفريد دور الإبل فى يوم شعب جبله وكيف كانت لهم إسهامات فى تلك الحرب فيقول : قال الأحوص بن جعفر فى يوم جبلة لقيس بن زهير : ماذا ترى ؟ فإنك تزعم أنه لم يعرض لك رأيان إلا وجدت الفرج فى أحدهما . قال قيس : الرأى عندى أن نرحل بالعيال والأموال حتى ندخل شعب جبلة فنقاتل القوم دونها من جهة واحدة . فإنهم داخلون علينا الشعب . إن لقيطا رجل فيه طيش . فسيقتحم عليك الشعب . فأرى لك أن تأمر الإبل فلا ترعى ولا تسقى وتعقل . ثم نجعل الذرارى وراء ظهورنا . ونأمر الرجال فنأخذ بأذناب الإبل . فإذا دخلوا علينا الشعب حلت الرجال عقالها . ثم لزمت أذنابها . فإنها تنحدر عليهم ونحن إلى مرعاها ووردها ولا يرد وجوهها شيء . وتخرج الفرسان إثر الرجالة الذين خلف الإبل فإنها تحطم ما لقيت ... وعندما نفذت تلك الخطة الحربية بمساعدة الإبل تحقق ما كان يصبو إليه مفكرو الحرب . فظن الأعداء أن الشعب قد تهدم عليهم . فولوا منهزمين بين قتيل وجريح وأسير . وقتل لقيط بن زرارة وأسر أخوه حاجب .(٢)

---

(١) مختارات ابن الشجرى .
(٢) العقد الفريد ٣ / ٦٣ .

وتحدث الشعراء فى العصر الجاهلى عن الإبل المحاربة ولم يغمضوها حقها فى تأدية ما نيط بها من واجب تجاه العشيرة . فهذا علقمة الفحل يحدثنا كيف كانت الإبل تحمل متاع الحرب وتقرب مكانه للقوم بينما تتبعها الخيول غير حاملة شيئا حتى تكون قد جهزت واحتفظت بقوتها للمعركة .(١)

تتبع جوناً إذا ما هيجت زجلت كأن دفاً على علياء مهزوم (٢)
يهدى بها أكلف الخدين مختبر من الجمال كثير اللحم عيثوم (٣)
إذا تزعم من حافاتها ربع خنت شغاميم فى حافاتها كوم (٤)

ويؤكد الأعشى هذه الصورة فى حمل عدة الحرب حيث يبين أنها حقيقة تحمل على ظهور الجمال .(٥)

ودروع من نسج داود فى الحر ب وسوق يحملن فوق الجمال

واتخذ بعضهم الناقة حمالة أسرار حربية . فكان الرجل يركبها حاملا أسرار قومه وما يبيته لهم العدو . فينطلق إليهم ليخبرهم بما يبيتوه لهم ؛ ويرفض استخدام الخيل حتى لا يفتضح أمره . فإن القوم عرفوه إذا ركب فرسه فهو غاز أو مغير . فيخدعهم بركوب الناقة مهما كلفها من طول الطريق ووعثائه من مشقة فتلك وظيفة حربية عليها أن تؤديها بكل همة وجسارة ؛ وفى ذلك يقول عميرة بن طارق (٦) كيف شاركته ناقته فى المهمة وتكبدت المشقة :

---

(١) المفضليات ٨٢٠
(٢) جونا : سود الإبل ، زجلت : ارتفعت أصواتها
(٣) عيثوم : الكبير الجوف
(٤) تزعم : صوت ، ربع : الفصيل المولود فى الربيع ، شغاميم : الطوال . كوم : عظيمة السنام
(٥) ديوان الأعشى ١١ .
(٦) النقائض ٥٠ .

فكلفت ما عندى من الهم ناقتى ... مخافة يوم أن ألام وانـدمـا
سأجشمها من رهبة أن يعزهم ... عدو من المدماة والأمر معظما

وكما كانت الإبل تسهم فى المعركة كان أصحابها يخافون عليها ويحمونها حمايتهم لأولادهم وعشيرتهم . فهى مغانم يرغبها المغيرون ويحاربون من أجلها ولكن أصحابها يدافعون دونها بما وهبوا من قوة وبأس فلا يفرطون فيها حتى ولو وجهت إليهم الرماح والطعن ولا ينسون فضلها فى نقلهم ومتاعهم للمعركة(١)

رأوا نعما سوراً فهموا بأخذه ... إذا التف من دون الجميع المزنم
ومن دونه طعن كأن رشاشه ... عزالى مزاد والأسنة ثرذم

والمقاتل يحتاج بجانب سنده الحيوانى فى ساحة الحرب إلى أن يكون قوى البناء الجسمى من حيث نوعية الطعام التى يتناولها ؛ حتى يقوى على الصعاب والشدائد التى تواجهه . فكان يجد فى الإبل خير معين على ذلك . فهى مساعدة حية ومذبوحة فى الدفاع وحماية العشيرة ؛ ومن ألبانها خير زاد يتقوى به . وفى ذلك يقول الأعشى : (٢)

جعل الإله طعامنا فى مالنا ... رزقاً تضمنه لنا لن ينفدا
مثل الهضاب جزارة لسيوفنا ... فإذا تراع فإنها لن تطردا
ضمنت لنا أعجازهن قدورنا ... وضروعهن لنا الصريح الأجردا

وكما كان للناقة نصيب فى أول الحرب ودورانها كان لها النصيب الأوفر فى إخماد نارها . فألف العرب فى العصر الجاهلى أن يجعلوا الإبل فدية للقتلى وحقنا للدماء بين القبائل . فهذا النابغة الذبيانى يمدح النعمان بن المنذر وينعته أنه قدم ديات القتلى من خالص إبله (٣)

---

(١) ديوان الأعشى ٢٠٢ .
(٢) ديوان الأعشى قصيدة ٣٤ .
(٣) ديوان النابغة الذبيانى ٨٣ .

الواهب المائة الأبكار زينها سعدان توضح فى أوبارها اللبد
والراكضات ذيول الريط فانقها برد الهواجر كالغزلان بالجرد

ومن الناس من رفض الديات حقنا للدماء وأوصوا ألا تقبل أية ديات لقتلاهم فعاب عليهم بعض الشعراء فعلهم وتفضيلهم نزف الدماء عن قبول الإبل كديات .(١)

فلو أن حياً يقبل المال فدية لسقنا لهم سيلا من المال مفعما
ولكن أبى قوم أصيب أخوهم رضا العار فاختاروا على اللبن الدما

ومدح الشاعر زهير بن أبى سلمى هرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين قدما ديات القتلى بالمآت من الإبل بين عبس وذبيان وأنهيا حربا استمرت سنين طويلة هى . رب داحس والغبراء الشهيرة .(٢)

تعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فأصبح يجرى فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفال مزنم

ويؤكد أحد شعراء بنى أسد أن الإبل قد أبلت بلاء حسناً فى يوم شعب جبلة حين خرجت تحطم كل شىء مرت به وخبطت تميما ومن معها وانحطوا منهزمين فى الجبل حتى السهل ، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحد همة إلا أن يذهب على وجهه . وجعلت بنو عامر يقتلونهم ، ويصرعونهم بالسيوف فى آثارهم وانهزموا شر هزيمة ، فقال راجزاً .(٣)

---

(١) الحماسة ١ / ٧٠ .
(٢) معلقة زهير بن ابى سلمى .
(٣) أيام العرب ٣٥٦ . محمد أحمد جاد المولى وآخران .

زعمت أن العير لا تقاتل بلى إذا ما قعقع الرحائل
واختلف الهندى والدوابل وقالت الأبطال من ينازل
بلى وفيها حسب ونائل

وهكذا كانت الضربة الأولى ومصارع الأبطال تحت أرجل الإبل . وكانت بقيمتها المادية هى سبب حقن الدماء بين القبائل المتحاربة . فهى مميتة ومحيية وضارة ونافعة رغم أن حظها من شعر رجال العصر الجاهلى لم يكن بالوفير كما كان حظ الخيل المحاربة .

ب — **دور الخيول فى الحرب :**

أما الخيل فهى الدعامة الحيوانية الأولى فى الحروب العربية ، فمنذ العصر الجاهلى ويحافظ العربى عليها كسند أساسى فى كل غاراته أو صدها . وفى كل هجومه أو الدفاع عن شرف قبيلته ، فهى عنصر ما كان له أن يستغنى عنه فى يوم ما بينما كان بإمكانه الاستغناء عن الإبل كوسيلة حربية حمالة للمتاع والعدة الحربية فكان بإمكانه حملها على مجموعة من الخيول بينما يفرغ الكثرة فيها للهجوم والدفاع .

ولم تكن العرب تعد المال فى الجاهلية إلا الخيل والإبل . وكان للخيل عندهم مزية على الإبل . فلم تكن تعدل بها غيرها . ولا ترى فى القوة والعز والمنعة بسواها . لأن بها كانوا يدافعون عن غيرها مما يملكون . ويمنعون حريمهم ، ويحمون من وراء حوزتهم وبيضتهم ، ويغاورون أعداءهم ، ويطلبون ثأرهم . وينالون بها المغانم ، فكان حبهم لها . وعظم موقعها عندهم على حسب حاجتهم إليها . وغنائهم عنها ، وما يتعرفون من بركتها ويمنها (١) . إلى

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ٤٣

أن بعث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأكرم أمته بما هداهم له فى دينه . وأمتن عليهم به منه . فأختار لنبيه عليه الصلاة والسلام أعداد الخيل وارتباطها لجهاد عدوه ، فقال سبحانه : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم» (١) .

وهذا دليل قوى على مكانة الخيول عند العرب منذ القدم . وما تزال الخيول تحتفظ بهذه المكانة . وإن تغيرت فى عصرنا كعدة حربية يعتمد عليها اعتماداً كليا فهى تحتفظ بوظيفتها العسكرية فى الحفاظ على الأمن وتتبع الأشرار وهو نوع من الحروب فى غير مواجهة أو هجوم وهى وظيفة أمنية تتفق ومتطلبات العصر .

وقد اتخذ العرب الخيل دعامة حربية بالدرجة الأولى قبل أن تكون وسيلة للصيد أو التنزه أو الافتخار بربطها وزادت فى فضلها ومزيتها ما فاقوا به الأمم فلم تكن فى الجاهلية ولا فى الإسلام تصون شيئا من أموالها كصيانتها ولاتكرمه لكرامتها ، لما كان لهم فيها من التباهى والتفاخر والتنافس والتكاثر والقوة والمتعة والعز والرفعة .(٢)

ولما كانت هذه مكانة الخيول فى العصر الجاهلى فإننا لا نجد ديوان شعر لأى شاعر جاهلى يخلو من الحديث عن الخيل ، وخاصة الخيول الحربية . وحصن الدفاع بل زادوا على الوصف والفخر باقتنائها إلى تقريبها من أنفسهم لدرجة تفوق صلة الرحم ، وقربوا مرابطها من بيوتهم ولم يتركوها كبقية السائمة ترعى بل جهزوا لها الطعام والشراب ، وغذوها قديد اللحم وسقوها

---

(١) سورة الانفال آية ٦٠

(٢) حلية الفرسان وشعار الشجعان ٤٧

حار اللبن شتاءاً وباردة صيفاً وزادوا فى أكرامها حتى دبت الغيرة فى نفوس أزواجهم وكن يعين بعولتهن على هذا التصرف .(١)

فهذا أبو دؤاد الأيادى من أشهر من تعلق بالخيل حباً ووصفاً وصداقة فى الحروب والغارات يبرز لنا صورة شخصية فيما بينه وبين فرسه ولماذا يعتنى به كل هذه العناية (٢) وكيف تولد حب الخيل مع طفولته .

علق الخيل حب قلبي وليداً ... وإذا شاب عندى الإكثار
علقت هامتى بهن فما يمنع منى الأعنة الأقتار
جنة لى من كل يوم رهان ... جمعت فى رهانها الأجشار
وانجرادى بهن نحو علوى ... وارتحالى البلاد والتسيار

وقال مالك بن نويرة فى صيانة فرسه وأثرته على أهله :(٣)

إذا ضيع الأنذال فى المحل خيلهم ... فلم يركبوا حتى تهيج المصائف
كفانى دوائى ذا الخمار وصنعتى ... على حين لا يقوى على الخيل عالف
أعلل أهلى عن قليل متاعهم ... وأسقيه محض الشول والحى هائف

ويبالغ مالك فى إكرامه فرسه وحسن عنايته به ومداواته إذا مرض . ويؤثره على نفسه فى شرب اللبن ويكفيه ما يعاف الحصان سؤراً له :(٤) .

داويته كل الدواء وزدته ... بذلا كما يعطى المحب الموسع
فله ضريب الشول الاسؤره ... والجل فهو ملبب لا يخلع

---

(١) نخبة عقد الأجياد للجزائرى ٢٢٣
(٢) الخيل . لأبى عبيدة ١٣ .
(٣) المصدر السابق ١١ .
(٤) المصدر السابق ١٢ .

أما عنترة العبسى الفارس الشاعر فقد عرف لفرسه المكانة الرفيعة من نفسه فهو المنزل والمستراح . فعليه ينال راحته . وبه ينال بغيته فكان لزاما عليه أن يهيىء له أحسن الأطعمة صيفاً وشتاءاً حتى يجهد نفسه بحثاً عن طعام له إذا أقحط الناس .(١) ولا يتركها تهيم ووراءها أولادها كما يفعل بعض الناس .

مقربة الشتاء ولا تراها ... وراء الحى يتبعها المهر
لها بالصيف أصبرة وجل ... ونيب من كرائمها غزر

وهذا زهير بن أبى سلمى ممن عرف للخيل قدرها فيصفها وقد صنع لها نعالا تقى به حوافرها قسوة الصخور والأرض الصلبة حين تهيأ للغزو فى الصحراء فلا تتألم أو تتكاسل عما وكل إليها (٢) فهى دائما :

تخطو على زبدات غير فائرة ... تحذى وتعقد فى أرساغها الحدم

وليس عنترة فحسب هو الذى قرب فرسه من مكان إقامته بل فعل ذلك العديد منهم . وذلك إدراكا لحميتها وغيرتها على صاحبها فى حومة الوغى فكانوا يربونها قريبة منهم حتى تكون على استعداد تام للكر والفر متى ناداهم نذير الحرب والإغارة . وسميت لذلك بالمقربة . وهذا الحارث بن عبد يقول داعيا إلى تقريب فرسه حتى يكون على أهبة الإستعداد للحرب .(٣)

قربا مربط النعامة منى ... لقحت حرب وائل عن حيال

ويؤكد فكرة تقريب الخيل الشاعر الفارسى عامر بن الطفيل بقوله .(٤)

---

(١) العقد الثمين ٣٩ .
(٢) شعراء النصرانية ٣٧٥ .
(٣) الأصمعيات ٦٧ .
(٤) ديوان عامر بن الطفيل ٣٢

وجيـاد لنـا تعودهـا الإقـدام إن غـارة بـدت واز بـــأرت
مقـربات كأنهم شعث النواصي قـد رفعنـا مـن حضرهـا فاستذرت
بشبـاب مـن عامـر تضـرب البيـض إذا الخيـل بالمضيق اقشعرت

ويبرز صورة تقريب الخيل إلى أنها علامة مميزة للقدرة على خوض المعارك مادام الإنسان يملك القوة المعنوية والعدة الحربية والدعامة الحيوانية فيقول إنها سمة مميزة لهم فليعرفها كل من سولت له نفسه أن ينال من بني الشاعر أو يقدم على حربهم . فعدتهم تامة وقدرتهم فائقة وقوتهم متمكنة وخيولهم مقربة وبهذا يتحقق النصر .(١)

وقـد علمـت عليـا هـوازن أننـا بنـو الحرب لا نعيا بورد ولا صدر
نشد عصاب الحـرب حتى ندرهـا إذا ما نفوس الناس طالعت الثغر
ترى رائدات الخيل حول بيوتنـا أبابيـل تـردى بالعشي وبالبكـر

أما المزرد بن ضرار فيذكر أن خيوله مقربة إلى بيوتهم وغير مسموح بها أن تركب للصيد أو النزهة ، فهي خاصة بالإغارات أو صد الهجوم . وما قربت إلا لذلك حتى حرموا على أولادها الرضاع منها حفظا عليها من أن يصيبها الضعف أو الهزال فتصبح غير قادرة على الكر والفر .(٢)

مقـربة لم تقتعـد غير غـــارة ولم تمـتر الطبيين منهـا السلائـل

ويبالغ جعفر بن أبي كلاب في إكرام فرسه (حذفة) فكان يطعمها طعامه إذا حل الشتاء ويلحفها بردائه خوفاً عليها من البرد . ويأمر غلمانه فلايطعمونها

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٧٢ .
(٢) ديوان المزرد ٤١ .

إلا اللبن الخالص . فليس ذلك بعزيز عليها فهى عدته وركنه فى خوض المعارك .(١)

أريغونى أراغتكم فإنى ... وحذفة كالشجا تحت الوريد
أسربها بنفسى أو بجزء ... فألحفها ردائى فى الجليد
أمرت الراغبين ليؤثراها ... لها لبن الخليفة والصعود

أما الأعرج المعنى فتصل عنايته بفرسه إلى لوم زوجه لغيرتها الشديدة من عنايته بفرسه أكثر من عنايته بأم أولاده . واعتزازه بها واسقائها اللبن ؛ ويغضبها أنه يفضل فرسه عليها . وربما كان محقاً فيما يرد به عليها إذ أن فرسه ساعده وقت الفزع . ونجدته وقت الغارة . وعدته الدفاعية عند المعاركة (٢)

أرى أم سهل ماتزال تفجع ... تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أعطى الورد لفحة ... وما تستوى والورد ساعة تفزع

ويعنف عنترة امرأته التى عابت عليه كثرة عنايته بالفرس عنها . وضجرت من تصرفه . فقال مؤنبا وزاجراً إياها ومعلنا مكانة فرسه لديه والتى تفوق مكانتها .(٣) ويتوعدها بهجرها فى الفراش إن هى ظلت تومه وتغار من فرسه .

لا تذكرى مهرى وما أطعمته ... فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
إن الغبوق له وأنت مسوءة ... فتأوهى ما شئت ثم تحوبى

أما عوف بن عطية التميمى فيرى أن اعداد فرسه للحرب إنما يكون

---

(١) حلية الفرسان ١٨٢ .
(٢) الحماسة ١ / ٣٤٩ .
(٣) ديوان عنترة ٢٠ .

بإشباعها من اللبن الخالص . والمحافظة عليها من ظروف الطبيعة القاسية . حتى تكون خالصة لحوض غمار المعارك . وعدها من خصال وهى من أحسن ما يتصف بها العربى الأبى .(١)

أحى الخليل وأعطى الجزيل حياء وأفعل فيه اليسارا
وأمنع جارى من المجحفا ت والجار ممتنع حيث صارا
وأعددت للحرب ملبونة ترد على سائسيها الحمارا

فهذه فرس قد دربها على رد حمار الوحش فأصبح من السهل عليها أن ترد المعتدين من البشر . فما كان لامرأته أن تعيبه على هذا .

ويذهب الأمعر بن حمران الجعفى إلى أنه وجد أن الخيل هى الحصن الأمين الذى يحميه من كل شرور أو مخاطر أو مجابهة غزو أو سلب .(٢)

ولقد علمت على تجنبى الردى أن الحصون الخيل لا مدر القرى
إنى وجدت الخيل عزا ظاهراً تنجى من الغما ويكشفن العمى
وتبيت للثغر المخوف طلائعاً وتبيت للصعلوك غرة ذى الغنى

أما الطفيل الغنوى فيعقد صداقة بينه وبين فرسه الذى لا يفارقه فى أى حال من حياته . فإن كان غنيا زاده غنى وإن كان فقيراً واساه وصبر على فقره . وهو دائما صديقه فى السراء والضراء . وربما أشار بذلك إلى صدق الملازمة التى يستفاد بها فى حالة الهجوم أو الدفاع فى الحرب .(٣)

---

(١) شرح المفضليات ٣ / ١٣٧٧ .
(٢) حلية الفرسان ١٧٨
(٣) المصدر السابق ١٧٨ .

إنى وإن قل مالى لا يفارقنى مثل النعامة فى أوصاله طول
أو ساهم الوجه لم تقطع أباجله يصان وهو ليوم الروع مبتول

وقد أدرك العرب منذ العصر الجاهلى أن الخيول الضامرة هى القوية فى الحروب . السريعة فى العدو . الساخة فى الكر والفر بين صفوف الأعداء . فأوصوا بألا تتخم الخيول حتى تصير بطنة مما تعلف به . وان يكون زادها من خير ما يفيدها قوة وبناء جسم مع ضمور مطلوب . وأن على الإنسان أن يكرمها حتى تكون وقاية له من كل شر يحيق به .

فقال فى ذلك أحد بنى عامر : (١)

بنى عامر مالى أرى الخيل أصبحت بطاناً وبعض الضمر للخيل أفضل
أهينوا لها ما تكرمون وباشروا صيانتها والصون للخيل أجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه وكل امرىء من قومه حيث ينزل
بنى عامر إن الخيول وقاية لأنفسكم والوقت وقت مؤجل

وبعد : فيطول الحديث عن الخيول العربية وصفاتها وأسمائها وتربيتها . وحسن رعايتها . ولكن الذى يعنينا هو الخيول المقاتلة وكيف كانت الدعامة الثانية فى الحروب الجاهلية ؟

ولسائل أن يسأل لماذا اهتم العرب منذ العصر الجاهلى بالخيول هذا الإهتمام ؟ وحافظوا عليها كل المحافظة وأحبوها بهذا الشكل المنقطع النظير خلال العصور التالية ومن قبل أن يحث القرآن الكريم على رباطها ويعنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويتحدث عنها ويحث على حسن تربيتها ومعاملتها .

ولعل الجواب على ذلك أن العرب فى العصر الجاهلى كانوا يعيشون فى

---

(١) الخيل . لأبى عبيد ١٢ .

«بلاد» متفرقة هى القبائل ومتناثرة أحيانا فى أنحاء شتى من الجزيرة العربية ، مما كان يجعلهم بحاجة ماسة إلى سرعة الاتصال فيما بينهم . إما لقضاء مصالح مشتركة أو نجدة مستغيث من هجوم جنس من البشر عليهم أو قطيع من الحيوانات الضارية . فالأخطار تهددهم دوماً ولا وسيلة انتقال تقرب ما بينهم غير الخيل . فكان لزاماً عليهم أن يجعلوها محط أنظارهم ومستهدف عنايتهم .

كما أنهم أدركوا حاجتهم إلى صيد حيوانات الصحراء اللاحمة والتى كانت تعتبر مورداً غذائياً لهم . فهم بحاجة إلى فرس مطارد يعدو خلفها ويشل حركتها حتى يسهل صيدها ؛ بينما لا تسعفهم الناقة فى ذلك الأمر . فهى مصدر خير وحصن أمان ويصدق عليها قول القائل نظما لمعنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .(١)

الخير ما طلعت شمس وماغربت معلق بنواصى الخيل معقود

وحق لهم أن يعتبروها بمنزلة الوليد أو الصديق أو النعم الكثيرة ،فكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج (٢) وصاحبها بعضهم فقال : (٣)

ولقد علمت على القنيص وصاحبى نهد مراكله مسح جرشع (٤)

وإذا كان العربى فى العصر الجاهلى قد استخدم الفرس فى أغراض عديدة فإن استخدامه فى الحرب يفوق كل وظيفة أخرى . وقد تناول شعراء العصر جانب محاربة الخيول وتحدثوا عنها طويلا ؛ من حيث دخولها المعارك ،وملاقاة

---

(١) حلية الفرسان ١٨٤ .
(٢) العمدة ١ / ٤٩ .
(٣) المفضليات ١ / ٤٩ .
(٤) المسح : السريع . الجرشع : الغليظ

العدو . وتحطيم الصدور . وجمع أدوات الحرب . والفرار بالفارس من المآزق . والإقدام حين يحمد التقدم . وخفة العدو والوثوب بثقة تامة فى مهارة الفارس الذى يستطيع أن ينال خصومه فى يسر وأمان . وبث الفزع فى نفوس العدو بصهيله وحمحمته . ومجابهة الطعن بصدر مكشوف ؛ وضربات السيوف بقوائم صلبة وملاحقة العدو الفار وأسره وضرب الحصار حوله وشل حركته .

وقد أجاد شعراء الوصف ما كان يقوم به الفرس منفرداً أو مطلقاً بفارسه فى مواقف البطولة . واستخدموا العدسات التصويرية لكل دقائق المعركة حتى يخرج الاثنان وقد تحقق بهما النصر .

ومن حسن الحظ وصدق التعبير أن معظم الشعراء الذين تناولوا وصف خيول الحرب فى العصر الجاهلى كانوا من فرسانها . فعاصروا العملية الحربية منذ خطوتها الأولى مصاحبين للخيول مدققين فى كل ما كان يعن لها حتى فى حبات العرق ، والحصى الذى كان يؤثر فى حوافرها . والغبار الذى كان يؤثر على رؤيتها . وألوانها قبل دخول المعركة وبعدها .

ويعتبر اسهام الخيول فى الحروب الجاهلية هو العامل الأول فى تحقيق إنتصاراتهم وبتقاعسها كانت الهزيمة النكراء ، فمن تقدم بخيله أصاب مجداً وحق له أن يفتخر به ، ومن ابطأت به أو خافت الإقدام تخاذل ولحقه عار الهجاء .

وقبل التعرض للدور الحصان فى الحرب كما كان عند عرب الجاهلية لابد من الوقوف على أوصافه ومدى تمتعه بالعدة القتالية التى تمكنه من أداء المهمة التى اختير من أجلها ودرب عليها حتى حذقها . وكذلك معرفة مدى ملاءمة

تلك العدة للدور القتالى الذى أنيط به حتى تناوله الشعراء من هذا الجانب .

وخير وصف فى هذا المقام هو ما نظمه الفارس الشاعر عنترة العبسى فى فرسه . إذ تحدث عن أعضاء جسمه حالة سكونه وحالة فزعه للمعاركة وركز على قوته التى يتمتع بها والتى أهلته للمعارك ، وكذلك عن مدى تلاؤم تلك الأعضاء مع أرض المعركة ووعورتها ، وإحساسه عند خوضها وتعامله مع أبطالها وطاعته لقائده حتى ينجح فى تحقيق النصر .(١)

ولرب مشعلة وزعت رعالها ... بمقلص نهد المراكل هيكل
سلس المعذر لاحق أقرابه ... متقلب عبثا بفأس المسحل
نهد القطاة كأنها من صخرة ... ملساء يغشاها المسيل بمحفل
وكأن هادية إذا استقبلته ... جذع أذل وكان غير مذلل
وكأن مخرج روحه فى وجهه ... سربان كانا موجلين لجيأل
وكأن متنيه إذا جردته ... ونزعت عنه الحل متنا أيل
وله حوافر موثق تركيبها ... صم النسور كأنها من جندل
وله عسيب ذو سبيب سابغ ... مثل الرداء على الغنى المفضل
سلس العنان إلى القتال فعينه ... قبلاء شاخصة كعين الأحول
وكأن مشيته إذا نهنهته ... بالنكل مشية شارب مستعجل
فعليه اقتحم الهياج تقحماً ... فيها وانقض انقضاض الأجدل

ويمتاز المقاتل الصادق بيقظة الضمير والإحساس التام لكل ما يدور حوله حتى يمكنه التصرف بحكمة وإرادة قوية ، وكانت هذه الصفات ملازمة لعنترة فى كل مواقفه القتالية . كما كانت موجودة لدى حصانه الذى درب على

---

(١) ديوان عنترة ٢٦٠ .

ذلك . فكما كان صاحبه سريع الإجابة لمن يدعوه . كان حصانه يسابق الريح انطلاقا إلى أرض المعركة . وكما تعود عنترة إجابة ما يمليه عليه ضميره . كان حصانه مجيباً بكل اشارات الضمير ويقظة الإحساس . فلا حاجة به إلى زجر أو ارشاد وتلك خصلة امتاز بها عن بقية الخيول المقاتلة .(١)

ولى فرس يحكى الرياح إذا جرى لأبعد شأو من بعيد مرام
يجيب اشارات الضمير حساسة ويغنيك عن سوط له وحسام

كما انفرد به عنترة فى أنه لا يعوده الوقوف فى زمرة الأبطال تباهيا وخيلاء فهو حصان عمل وحركة ومقاتلة . وتلك راحته النفسية فليس به حاجة إلى الوقوف مع غيره . وإنما مكانه وزمانه الكر والفر والأداء الحربى الموكل إليه . وفى حالة السلم يوظفه وظيفة أخرى وهى محاربة الأشرار حفظا وحماية للجار فهو فى يقظة تامة . وحرب دائرة إما لصد هجوم أو دفاع فى ساحة القتال . أو محاربة الرذيلة وأهلها والقضاء عليهم دفاعاً عن الشرف وكرامة الجار . فهو دعامة قتالية فى الحالتين . وتلك صفة البطل الذى يؤدى دوره البطولى أنى حل وأينما وجد . وقد أحسن عنترة أن جعل حصانه مشاركاً له فى تلك الصفات حتى يبرز قيمته القتالية كما برزت قيمة عنترة الشجاعية .(٢)

ولا أعود مهرى أن أوقفه وسط الكماة ولا يشقى بنا الجار

وهناك وظيفة قتالية للحصان أبان عنها عنترة فى العصر الجاهلى . فحصانه كان من مهامه أنه إذا ظهر فى أرض المعركة تحاشته الأبطال وابتعدوا عن سبيله . وكان عليه بجانب حمله فارسه أن يتقدم الصفوف ويشقها غير هياب ويعرض ذاته لطعان أبطال العدو ليجمع ما تناثر فى أرض المعركة من قسى

---

(١) ديوان عنترة ٢١٦ .
(٢) المصدر السابق ٤٦ .

حتى يعاود صاحبه القتال بها ؛ أو يتلقاها بين فكيه فلا تصيب قومه . وتلك وظيفة نادرة فى الحيوانات الأخرى . فحق لصاحبه أن يعلن عنه بقوله : (١)

إذ لا أزال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم
طورا يعرض للطعان وتارة يأوى إلى حصد القسى عرمرم

ومن أبرز صفات الخيول المقاتلة الصبر عند الجرح . فهذا حصان عنترة يصاب بطعنات توجه إليه خشية بأسه وقوة صاحبه ولكنه صبور يتلقاها دون مبالاة حتى يحقق النصر . (٢)

ولقد كررت المهر يدمى نحره حتى اتقتنى الخيل بابنى حذيم

وكذلك قوله : (٣)

أكر عليهم مهرى كليماً قلائده سبائب كالقرام

وتتخذ الخيول وقاية فى الحروب من سهام الأعداء كما كان حصان عنترة الذى كان يقدم غير هياب . ويتلقى الطعنة تلو الطعنة ليرضى صاحبه وقومه فى بطولته الحربية . (٤)

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
مازت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم

ويبرز عنترة صورة فريدة تشهد بقوة مقاتلة حصانه فى حروب الجاهلية . وهى أنه كان يتاجر فى النفوس . فمن تاجر معه أصابه الموت . وهذه كناية

---

(١) ديوان عنترة ٢٠٨ .
(٢) المصدر السابق ٢٢٧ .
(٣) المصدر السابق ٢٥٠ .
(٤) المصدر السابق ٢١٧ .

عن كثرة قتلاه الذين كان يحطم صدورهم أو يفجر بطونهم من شدة علوه وبأسه .(١)

حصانى كان دلال المنايا فخاض غمارها وشرى وباعا

وحصان الحرب لا يجبن أمام نزف الدم ورؤيتها . أو يهاب الطعان وشدتها . أو يهرب من السهام المصوبة . وإنما درب تدريبا قتاليا كيف يتحاشاها أو يفر منها ولا يلحقه أحد . وتلك سمة حميدة فى حصان عنترة المحارب .(٢)

ولى جواد لدى الهيجاء ذوشغب يسابق الريح حتى ليس يلتحق

والقوة العنترية فى الحرب الجاهلية بدعامتيها الإنسانية ممثلة فى عنترة والحيوانية ممثلة فى حصانه كانت قوة ضاربة منظمة . وشهد كل طرف منها للآخر بأداء الدور القتالى والأمانة الحربية بنجاح . فقال عنترة عن كثرة ما شاهده الحصان من القتلى الذين سقطوا بطعنات الشاعر وقوة الحصان :(٢) الذى شهد وما كاد يبين عن هول ما رأى :

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى

ويشهد عنترة على نفسه وحصانه بقوتهما فى الأداء الحربى بقوله .(٣) عن فرسه «الأغر» :

جزى الله (الأغر) جزاء صدق إذا ما أوقدت نار الحروب
يقينى بالجبين ومنكبيه وأنصره بمطرد الكعوب
وأكرهه على الأبطال حتى يرى كالأرجوانى المجوب

---

(١) ديوان عنترة ١٧١ .
(٢) المصدر السابق ٢١٧ .
(٣) المصدر السابق ٣٢٠ .

ألست مصاحبي يوم التقينا بسيف صارم يوم الكثيب

ويقول كلحبة اليربوعى عن فرسه «العرادة» كيف احتار الناس فى أمرها حين رأوها تكر بين صفوفهم وتؤدى وظيفتها القتالية بما لم يعهد فى غيرها من قبل من البهائم من شدة العدو وبسالة فى القتال .(١)

تسائلنى بنو جشم بن بكر أغراء «العرادة» أم بهيم ؟
هى الفرس التى كرت عليكم عليها الشيخ كالأسد الظليم
إذا تمضيهم عادت عليهم وقيدها الرماح فما تريم
تعادى من قوائمها ثلاث بتحجيل وقائمة بهيم
كميت غير محلفة ولكن كلون الصرف عل به الأديم

كما يشيد الرقاد بن المنذر الضبي بفرسه المقاتلة «الشقراء» وأنها متى تدخل المعركة بفارسها وأسلحته فلا هوادة فى الحرب ولا سلام ينتظر فهى مغيرة مهلكة فتاكة للأعداء .(٢)

إذا نلهبرة الشقراء أدرك ظهرها فشب الهيب الحرب بين القبائل
وأوقد ناراً بينهم بضرامها لها وهج للمصطلى غير طائل
إذا حملتنى والسلاح مغيرة إلى الحرب لم آمر بسلم لوائل

وكما تكون الخيول هجومية تكون منجية لفارسها متى رأت أن ذلك فى صالحه فتفر به وهذا ما قالته تميمة بنت أهبان العبسية عن نجاة عامر بن الطفيل بفضل هروب فرسه وحسن تدبيرها فى يوم الرقم :(٣)

---

(١) أنساب الخيل ٤٨ .
(٢) المصدر السابق ٥٩ .
(٣) المصدر السابق ٦٥ .

ولولا نجاء «الورد» لا شيء غيره وأمر الإله . ليس لله غالب
إذاً لكنت العام نقشاً ومنعجا بلاد الأعادى أو بكتك الحبائب

أما عامر بن الطفيل فيدير حواراً بينه وبين فرسه «المزنوق» يوم هيف الريح يفهم منه أن الفارس وحصانه أبليا بلاء حسنا فى ذلك اليوم حتى تحقق النصر . وكان الدور القتالى بينهما مشتركاً . وأسلوب التعاون فى الحرب ظاهراً حتى إن هذه الفئة القليلة العدد القوية الإرادة برجالها وخيلها استطاعت الصبر فى الدفاع والثبات فى المآزق حتى أتاها اليقين بالنصر المبين .(١)

لقد علم «المزنوق» أنى أكره على جمعهم كر المنيح لمشهر
إذا أزور من وقع الرماح زجرته وقلت له : ارجع مقبلا غير مدبر
وأنبأته أن الفرار خزاية على المرء . مالم يبل عذراً يعذر
ألست ترى أرماحهم فى شرعاً وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
فلو كان جمع مثلنا . لم نبا لهم . ولكن أتتنا أسرة ذات مفخر
ومارمت حتى بل صدرى ونحره نجيع كهداب الدمقس المسير
أردت لكيما يعلم الله أننى صبرت وأخشى مثل يوم المشقر

وكما حدث عامر بن الطفيل فرسه حدث عنترة فرسه «الأبجر» وقال لها بأن تثبت وتصبر على مكاره الحرب وتتجلد للطعان . وأن تكون صورة مماثلة لفارسها الذى لا يضجر متى رأى الموت دانيا منه . وكان من الطبعى أن تطيع الفرس قائدها حتى نال شهرته القتالية وإياها .(٢)

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٦٢ .
(٢) أنساب الخيل ٦٩ .

لا تعجلى أشدد حزام «الأبجر» إنى إذا الموت دنا لم أضجر
ولم أمن النفس بالتأخر

ويعترف معاوية بن مرداس السلمى أنه عرض فرسه «زامل» طويلا للأعداء فى الحروب . وكان يتلقى عنه الطعان والسهام المصوبة دون كلل فهو نعم المقاتل الذى يصبر على ما أصابه حتى يحقق ما يهدف إليه صاحبه (١)

لعمرى لقد أكثرت تعريض «زامل» لوقع السلاح أو ليفزع عامرا
ولا مثل أيام له وبلائه كيوم له بالفزع إن كنت خابرا
تشك عوالى السمهرى لبانه ويرمون فيه بالسهام المفاقرا

وما أحسن أن يعترف الخصم للخصم بقوة فرسه وحسن بلائه فى الحرب ومنجاة صاحبه وقت الشدة من فتك الأعداء به . وهذا ما صرح به أوس ابن حجر معيبا على عامر بن الطفيل إذ أنه لم ينج إلا بتدبير فرسه «قرزل» ذلك الفرس الذى شد على آل أوس شدة مشهودة ؛ ومر من بينهم يحمل فارسا وينطلق به انطلاق الخذروف بيد الصبى . وتلك سمة ذكاء الحصان فى المقاتة حيث يعمل على نجاة صاحبه متى كان ذلك متاحاً ولا عيب فيه .(٢)

هربت واسلمت ابن أمك . عامراً يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
ونجاك تحت الليل شدات «قرزل» يمر كخذروف الوليد المقزع

ويقول الشاعر لعامر فى نفس الموقف .(٣)

والله لولا «قرزل» إذ نجا لكان مأوى خدك الأخرما (٤)

---

(١) المصدر السابق ٧٥ .
(٢) . (٣) المصدر السابق ٧٨ .
(٤) الأخرم : الغليظ من الأرض .

نجاك جياش هزيم كما أحميت وسط الوبر لميسما

ومن عادة الخيول المقاتلة أنها تعلك لجامها مما يصيبها من هياج إلى الحرب والفتك بالعدو حتى تناله . وغالبا ما تكون عابسة . يتصبب عرقها من هول ما تفكر فى الإقدام عليه . وتلك حالة نفسية تدل على الغضب . والمقاتل غضوب دائماً . قوى الشكيمة متحفز للبطش . وهذه هى صفات الفرس التى قال عنها قرة بن زيد بن عاصم .(١)

على الجرد يعلكن الشكيم عوابساً إذا الماء من أعطافهن تحدرا
فلم يرها الراءون إلا فجاءة يثرن عجاجاً كالدواخن أكدرا

أما الأفوه الأودى فيبين مكانة الخيول المقاتلة وكيف تقتحم صفوف الأعداء غير هيابة تؤدى ما وكل إليها من مهام قتالية بصدق عزيمة وقوة وبأس ، وكلها كفرسه التى قال فيها :(٢)

إن يجل مهرى فيكم جولة فعليه الكر فيكم والغوار
نحن قدنا الخيل حتى انقطعت شدن الأفلاء عنها والمهار

ويصف عمرو بن كلثوم خيول قومه حين يفزعون للقتال وكيف أنها خيول مدربة مقاتلة معودة على دخول المعارك والانتصار وهى ميراث خير بين أجيالهم .(٣)

وتحملنا غداة الروع جرد عرفن لنا . نفائذ واتلينا
وردن دواوعاً وخرجن شعثاً كأمثال الرصائع قد بلينا

---

(١) الكامل لابن الأثير ٦٥١ .
(٢) موسوعة الشعر العربى العصر الجاهلى ٣٧٨ .
(٣) المصدر السابق ٤٣١ .

ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بنينا

وقال مزرد أخو الشماخ مفتخراً بملكيته لخيول الحرب التى تدفع عنه وعن عشيرته كل شر مستطير .(١)

وعندى إذا الحرب العوان تلقحت وأبدت هواديها الخطوب الزلازل
طوال القرى قد كاد يذهب كاهلا جواد المدى والعقب. والخلق كامل
أجش صريحى كأن صهيله مزامير شرب جاوبتها جلاجل
متى يرتكوبا يقل باز قانص وفى مشيه عند القياد تساتل
وسلهبة جرداء باق مريسها موثقة مثل المراوة حائل
مقربة لم تقتعد غير غارة ولم تمتر الأطباء منها السلائل
وقد أصحت عندى تلاداً عقيلة ومن كل مال متلدات عقائل
وأحبسه مادام للزيت عاصر وما طاف فوق الأرض حاف وناعل

ويعترف عامر بن الطفيل بأن من ملك الخيول المحاربة استطاع أخذ ثأره ولا يعاب بجبن . وأنه ما ترأس قومه وراثة عن أبيه . ولا حباً فى حسبه وإنما بحسن قيادته فى الحروب للخيل وطاعتها له وبلائه بها البلاء الحسن . وهذا خير شاهد على ثنائية القتال بين دعامتى الحرب الانسانية والحيوانية .(٢)

فما أدرك الأوتار مثل محقق بأجرد طاو كالعسيب المشذب
فإنى وإن كنت ابن فارس عامر وفى السر منها والصريح المهذب
فما سودتنى عامر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها واتقى أذاها وأرمى من رماها بمقنب

---

(١) المفضليات ١٦٤ .
(٢) ديوان عامر بن الطفيل ٢٧

ولقد مدح رجال فرس عدوهم الذى استطاع بقوته الفائقة تخليص صاحبه من طعناتهم أو اللحاق به . فكأنه الطائر القوى السابح فى الفضاء وكأنه يعدو على ارتفاع لا يمكن لأحد اللحاق به . كأن ريشه قد بلله السحاب وشد إليه . فصار مخلصاً لصاحبه يستحق منه الثناء والجميل . وهذا ما قاله سلمة بن الخرشب الأنمارى لبنى عامر والخطاب لرئيسهم .(١)

نجوت بنصل السيف لأغمد فوقه ... وسرج على ظهر الرحالة قاتر
فأن عليها بالذى هى أهله ... ولا تكفرنها . لا فلاح لكافر
فلو أنها تجرى على الأرض أدركت ... ولكنها تهفو بتمثال طائر
حذاريـة فتخـاء الثـق ريشها ... سحابة يـوم ذى أهاضيب ماطر

وكذلك يقول أوس بن حجر(٢) لصاحبه أن الأعداء فزعوا منه وولوا الأدبار حين رأوه وقد أتاهم على ظهر فرس مجربة فى الحروب . مشهود لها بتحقيق النصر بفضل ما تقدمه من عدو وشجاعة واقدام تتفق مع قوة فارسها

لمـا رأوك عـلى نهـد مراكلـه ... يسعى بزج كمـى . غير معزال
وفـارس لا يحـل الحـى عدوتـه ... ولـوا سراعـاً وما همـوا باقبـال

والفرس فى المعركة يقوى من عزيمة صحبه مادام قوياً مطيعاً مقداماً فى صفوف الأعداء محطماً لصدورهم محققاً النصر المؤزر . وذلك جعل النابغة يقول :(٣)

ولـن أصالحكم مـادام لى فـرس ... وما شددت على السيلان إبهـامى

ويروى عبيد بن الأبرص كيف يكون وخيوله قوتين ضاربتين فى الأعداء عند المعاركة . ولا يحققون ذلك بحسب أو نسب وإنما بالشجاعة الكامنة فى

---

(١) شرح المفضليات ١ / ٨٠ .
(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٢ / ٦٠٨ .
(٣) المصدر السابق ٢ / ٢٨٤ .

نفوس المقاتلين . واقدام الخيول فى الوغى غير هيابة أو مترددة . وكلاهما يساند الآخر فى تحقيق النصر .(١)

لا نبتغى بالأحساب مالا ولكن نجعل المال جنة الأحساب
ونصد الأعداء عنا بضرب ذى خذام . وطعننا بالحراب
وإذا الخيل شمرت فى سنا الحر ب وصار الغبار فوق الذؤاب
واستجارت بنا الخيول عجالا مثقلات المتون والأصلاب
مصغيات الحذود شعث النواصى فى شماطيط غارة أسراب
مسرعات كأنهن ضراء سمعت صوت هاتف كلاب
لاحقات البطون يصهلن فخراً قد حوين النهاب بعد النهاب

ومن الإبداع الفكرى لدى عبيد بن الأبرص أن جعل الخيول تعطى العهود والمواثيق فى الحرب ، وتلك وظيفة إنسانية ، ولكن حيث إن الخيول هى الدعامة القتالية الثانية فى حروب الجاهلية فليس هناك ما يمنع أن تتاح لها فرصة إعطاء العهود والمواثيق سيما إذا كانت خاصة بالعملية القتالية . فإن خيولهم قد عاهدت أنفسها أن لا يقوم للعدو قائمة ، ولا تمكنه من الثأر أو تحقيق هدفه فى النصر . فيوجه إلى خصومه ذلك العهد .(٢)

واعلم بأن جيادنا آلين لا يقضين دينا

ويحدثنا النابغة الذبيانى عن قوة تحمل الخيول فى دخول المعارك أو الإغارة على الخصوم فى العصر الجاهلى . ويبرز صفات تلك الخيول الكامنة فى كل

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ١٥٩ .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٨٩ .

جزء من أجزاء جسومها ومدى مناسبته لأرض المعركة وظروفها حتى يؤدى الفارس والفرس مهمته على الوجه الأكمل . ويصف هذه الخيول بأنها دائما متقدمة صفوف المقاتلين لما امتازت به . ولكنه تقدم بفرسه التى فاقت كل هذه الخيول ليحذوا حذوها فى القتال .(١)

وغارة ذات أظفار ململمة ... شعواء تعتسف الصحراء والآكاما
خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما
قود يراها قياد الشعث فانهدمت ... تنكى دوابرها محذوة خدما
أقدمتها ونواصى الخيل شاجبة ... جرداء عجلزة أرمى بها قدما

ويبرز الصورة القتالية للخيول فى معركة طاحنة كانت قدرتها السبب الأول فى تحقيق النصر لما امتازت به من كثرة المران والتدريب على أساليب القتال .(٢)

مستحقبى حلق الماذى يقدمهم ... شم العرانين ضرابون للهام
لهم لواء بكفى ماجد بطل ... لا يقطع الخرق إلا طرفه سأم
يهدى كتائب خضراً ليس يعصمها ... إلا ابتدار إلى موت بإلجام
كم غادرت خيلنا منكم بمعترك ... للخامعات أكفا بعد أقدام
يارب ذات خليل قد فجعن به ... وموتمين وكانوا غير أيتام
والخيل تعلم أنا فى تجاولنا ... عند الطعان أولو بؤس وانعام
ولوا وكبشهم يكبو لجبهته ... عند الكماة صريعاً جوفه دم

وقد ارتبط المديح فى العصر الجاهلى بقدر ما يقدم الممدوح لإيقاف

---

(١) ديوان النابغة ٢٢٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٣٠

الحروب من خيول يحد بها طغيان المعتدين فى حرب تأديبية لهم ؛ أو دفعا بها كديات للقتلى . وهى على أى حال محاربة للخير . وذلك ما صرح به زهير ابن أبى سلمى حين مدح هرم بن سنان الذى لا ينكر دوره فى رفع راية السلم بين قبائل الجاهلية بعد اخماد نار حروبهم .(١)

بـى أذكرن خير قيس كلها حسباً ... وخيرهـا نائـلا وخيرهـا خلقـا
القائـد الخيـل منكـوباً دوابرهـا ... قد احكمت حكمات الفد والأنفـا
غـزت سمانـاً فآبت ضمراً خدجـاً ... من بعد ما جنبوها بدناً عققـا
حتى يثـوب بهـا عوجـاً معطلـة ... تشكو الدوابر والأنساء والصفقـا

ويصف بشر بن حازم أحد شعراء الجاهلية خيول الحرب حين خروجها من المعركة وقد تغير شكلها . حيث غبار المعركة وكثرة ما فيها من ألوان مختلفة أظهرها دماء الصرعى تحت حوافر الخيل مما يستثيرها فتظل تدهمهم إجهازاً وتشفياً .(٢)

يخرجـن من خلـل الغبـار عوابسـاً ... خبب السبـاع بكل أكلف ضيغم
من كل مستـرخى النجـاد منـازل ... يسمو إلى الأقـران غـير مقـلم
فدهمنهـم دهمـاً بـكل طمـرة ... ومقطع حلـق الرحالـة مرجـم

ومن سمات المقاتل الشجاع أن يخرج من المعركة منتصراً وبنفس القوة التى دخلها بها . متماسكا لم تضعفه الأحداث التى عاصرها بالمعركة . وكذلك كان حال خيول العرب المقاتلة فى العصر الجاهلى ؛ أنها بعد أن تؤدى مهمتها بقوة وصدق عزيمة وتنال من الأعداء ما يرضيها وفرسانها تخرج منطلقـة

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٢٤٨ .
(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ٤٥١ .

بنشاط كما دخلت أرض المعركة . لم تضعضعها الأحداث . ولم يرهبها القتال . فهى قوية دوماً مستعدة لخوض المعارك الضارية المتتابعة . وهذا ما يصرح به بشر بن خازم .(١) مبينا مكانة الخيول المقاتلة بعد المعركة .

وما تبغى رجالهم ولكن ... فضول الخيل ملجمة صمام
أثرن عجاجة . فخرجن منها ... كما خرجت من القرض السهام
بكل قرارة من حيث جلت ... ركية سنبك فيها انثلام
إذا خرجت أوائلهن شعثا ... مجلحة نواصيها قيام
بأحقيها الملاء ممزقات ... كأن جذاعها أصلا جلام
يبارين الأسنة مصغيات ... كما يتغارط الثمد الحمام

ويمتدح الشعراء الخيول المقاتلة المجربة بأنها كالأسود الضارية التى تعودت القوة والبأس والشجاعة والأقدام دفعاً عن الغاب أو قنصاً لصيد وكان ذلك حال خيول نعتها النابغة لبنى أسد فى مقاتلات عدة .(٢)

وهم ساروا لحجر فى خميس ... وكانوا يوم ذلك عند ظنى
وهم زحفوا لغسان بزحف ... رحيب السرب أرعن مرجحن
بكل مجرب كالليث يسمو ... على أوصال ذيال رفن
وضمر كالقداح مسومات ... عليها معشر أشباه جن
غداة تعاورته ثم بيض ... دفعن إليه فى الرهج المكن

---

(١) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى – ٤٤٧ .
(٢) ديوان النابغة ٢٥٣ .

أو خيول الصيد تختلف عن تلك التى تجهز للمقاتلة . وهى كما عبر عنها واصف الخيل الأول فى ذلك الوقت . أمرؤ القيس بقوله .(١)

وأعددت للحرب وثابة جوادا المحثة والمرود
سبوحاً جموحاً واحضارها كمعمعة السعف الموقد

بينما عبر عنترة عن فرسه بقوله .(٢)

فعدوت تحمل شكتى خيفانة مرطى الجراء لها تميم أتلع
كدلة عجزاء تلحم ناهضاً فى الوكر موقعها الشظاء الأرفع

وكذلك وصف عمرو بن كلثوم خيول قومه لدى المعارك وكيف تتصرف فى المعارك بعد تأدية مهمتها بصدق عزيمة وقوة شكيمة . وأعلن أنها خيول مدربة مجربة على خوض كل المعارك ولا تطيع فى الحروب غير أصحابها الذين ألفوا تدريبها كما ألفت حياتهم وحمايتهم لها :

ضوامر كالقداح ترى عليها يبيس الماء من حو وشقر
كأن الخيل أيمن من أباض بجنب عويرض أسراب دبر
إذا سطع الغبار خرجن منه سواكن بعد إبساس ونقر
محربة عليها كل ماض إلى الغمرات من جشم بن بكر

كما وصف المرقش الأصغر فرسه وكيف دخل به غارة وما كان تصرفه حيال المواقف القتالية من الأعداء . وصعوبة الأرض التى يعدو عليها والتغلب

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١٣١ .
(٢) ديوان عنترة ٢٦٦ .
(٣) موسوعة الشعر العربى - العصر الجاهلى - ٤٣٤ .

بحكمة وقوة على صعابها . وهذا الضرب من الخيول هى التى كان يهتم بها العربى فى العصر الجاهلى ويحافظ عليها بكل إمكانياته .(١)

شهدت به فى غارة مسبطرة ... يطاعن أولاها فتام مصبح
كما انتفجت مثل الظباء جداية ... أشم إذا ذكرته الشد أفيح
يجم جموم الحسى جاش مضيقه ... وجرده من تحت غيل وأبطح

وما أحسن قول سلامة بن جندل فى الخيل المقاتلة وكان من فرسان العرب المعدودين وأشدائهم المذكورين حيث يقول عن خيول قومه فى يوم المفاخرة(٢)

وكرنا خيلنا أدراجها رجعاً ... كس السنابك من بدء وتعقيب
والعاديات أسابى الدماء بها ... كأن أعناقها أنصاب ترحيب
من كل حث إذا ما إبتل ملبده ... صافى الأديم أسيل الخد يعبوب
يهوى إذا الخيل جازته وثار لها ... هوى سحل من العلياء مصبوب
ليس بأسنى ولا أقنى ولا سغل ... يعطى دواء قنى السكن مربوب
فى كل قائمة منه إذا اندفعت ... منه أساو كفرع الدلو أثعوب
كأنه يرفئى نام عن غنم ... مستنفر فى سواد الليل مذءوب
يرقى الدسيع إلى هاد له بتع ... فى جؤجؤ كمداك الطيب مخضوب
تظاهر الذى فيه فهو محتفل ... يعطى أساهى من جرى وتقريب
يحاضر الجون مخضراً جحافلها ... ويسبق الإلف عفواً غير مضروب

---

(١) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٣٨٣ .
(٢) المصدر السابق ٥٥٦ .

الفصل الثالث

الدعامة القتالية :ـ

ويأتى دور الدعامة القتالية الثالثة فى الحروب الجاهلية وهى الأسلحة التى كان يستخدمها المقاتلون . ويمكن تقسيمها إلى أسلحة هجومية وأخرى دفاعية وثالثة إجهازية . هذا بالإضافة إلى ما كان يكتسى به المقاتلون من دروع حديدية أو خوزات يضعونها على رؤوسهم وتعتبر أسلحة وقائية ، وكان لها دور فعال فى تكسير وتحطيم أسلحة الآخرين حين تصوب إليهم أو يتلقون الضربات عليها .

وأحيانا كان المقاتلون يستخدمون كل تلك الأسلحة بأنواعها المختلفة ، وقد عرفوا لكل نوع وظيفته ومتى يستخدم وأبعاد استخدامه ، وأيها ينوب عن الآخر فى غيابه أو تحطيمه أو فقده ، فما كانوا عزلا من معظم تلك الأنواع إن لم يتسلحوا بها جميعا ضمن عتادهم الحربى .

كما أدركوا أن استخدام تلك الأسلحة يحتاج إلى مهارة عضلية معينة وبعد نظر وحكمة تصويب ودقة توجيه . حتى تفوق العديدون منهم فى استخدام سلاح بعينه أو أكثر وفقاً لمهارته التدريبية وحسن استيعابه لأساليب الحرب وما تتطلبه . فما يستخدم أثناء الكر والفر خلاف ما يستخدم خلال المواجهة الجسمية مع العدو ، وما يصوب للإقبال خلاف ما يوجه فى الإدبار .

وقد توارثوا حسن استخدام تلك الأسلحة وجعلوها دروساً لكل من أراد أن يكتسب البطولة حتى يدرك دقائق عملية المقاتلة بها فلا ينافسه فيها

أحد . وعرف منهم أحسنهم رميا بالقوس أو تصويبا بالنشاب والنبل أو أقطعهم بالسيف أو أدقهم توجيها للرمح أو أبرعهم إرسالا للسهام .

وكانت لهذه الأسلحة مكانة رفيعة فى نفوس المقاتلين منذ العصر الجاهلى كما حظيت بتقدير الشعراء لدورها القتالى الفعال فوصفوها وأبدعوا فى ذلك الوصف . ومدحوها جزاء وفاقا لما قدمته لهم ولقومهم من حفاظ على بشريتهم وأمنهم فى حياتهم ورفعة مكانتهم بين شعوب الأرض . وتناولوها بمعانى مألوفة للجميع وأخرى نفسية لا يعرفها إلا من عايشها وتعامل معها فى ساحة الحرب أو من دقق فى كنهها ووظائفها المرموقة . فكانت لهم نظرات خاصة نحوها فأحبوها كما أحبوا أبناءهم وأكرموها كما أكرموا ضيوفهم وعززوها كما عززوا ذويهم وأرحامهم ، فهى تشكل جزءاً من المقاتل وفكراً ووجدانا من الشاعر على السواء .

وينبغى أن يتحدث الباحث عن تلك الأسلحة بشىء من التوضيح ثم يعرض بعضا مما وقع عليه من شعر الجاهليين فيها . وحيث ان هذه الأسلحة تشكل عناصر القتال الثلاثة الهجومية والدفاعية والإجهازية وكلها تعمل مجتمعة أو متفرقة فإنه من الصعب الفصل بين وظائف أسلحة الحرب المختلفة فى العصر الجاهلى ، فأحيانا كان العربى يستخدم إحداها مكان الآخر أو يفضل واحداً على الكل وفق ما يراه متاحاً أمامه من موقف قتالى .

أ — دور السيف فى القتال :

وأول ما يذهب إليه الفكر من تلك العدة القتالية السيف . والسيف آلة حديدية مصقولة حادة قاطعة يستخدمها المقاتل بيد واحدة . ويحتاج فى ذلك

إلى قوة الساعد ورباطة الجأش وحسن التهديف حتى يصيب مقطعه فيفصله عن بقية أعضاء الجسم بقوة وبطش ، وقد عرفه العرب قديماً كما عرفته شعوب أخرى واستخدموه كآلة حربية ضرورية فى معارك الإلتحام المجومية .

وما يروى أن نسبة السيف ترجع إلى البلد التى صنع فيها . وقد تناول الشعراء ذلك فى نظمهم وكان أشهرها ذكراً الهندوانى . المصنوع فى الهند . قد جاء العرب عن طريق التجارة التى كانت تعبر الجزيرة العربية فى التاريخ القديم . ثم السيوف المشرفية وهى التى تنسب إلى القرى المشارفة لكل بلاد العرب . فكانوا يصنعونها حماية لأنفسهم من الغزاة أو قطاع الطرق ويتفننون فى صناعتها ويمهرون وأشهرها مشارف الشام واليمن . ثم السيوف اليمنية وهى التى بوغ فيها اليمنيون من خالص الحديد كما صنعها الروميون وانتسبت إليهم .

وربما نسبت السيوف إلى تلك الحالة النفسية التى كانت تضفيها على الضاربين بها فى رقاب الأعداء ، فحيث استطاع الرجل قطع رقبة عدوه وفصلها على جسده ارتاحت نفسه واطمأن باله وهدأ روعه . فأطلق على السيف الأريحى فهى سيوف أريحية تحل الراحة فى النفس بدلا من الفزع والخوف .

ألف الشعراء منذ العصر الجاهلى الحديث عن السيف بنسبته إلى بلد صنعه ومنهم من نعته بالبياض أو اللمعان أو الضياء أو البريق الذى يصدر عنه أو بالخفة فى القطع أو بالإهتزاز فى اليد . أو بالعنف فى إطاحة رأس العدو أو بالصماء فى جودة مادته وخلوها من الشوائب التى تعوق وظيفتها . ومنهم من تحدث عنه من حيث الحركة فى يد صاحبه وكأنه الورق الخفيف أو مخاريق اللاعبين . أو العصا التى يستخدمها صاحبها فى خفة وخيلاء أو السند الذى يتكىء عليه ثم يفزع به ضارباً محققاً هدفه .

ومن شدة إهتمام العرب بالسيف أطلقوا عليه من تعاريفهم الكثير . فمنهم من قال عنه : السيف ظل الموت . ولعاب المنية .(١)وربما أخذو دلك التعريف من اقتران وظيفته حين يعمل فالموت كامن فى حده . والمسلع والخوف منه يعيش دوماً فى النفوس ولذلك كنوه «أبا الوجل» . ومن ذلك تلك الصورة التى عبر عنها عنترة العبسى فى قوله عن سيفه .(٢)

ولى حسام إذا ما سل فى رهج يشق هام الأعادى حين يمتشق

وكما استخدم العرب السيف مصدراً للفزع والوجل فى نفوس الأعداء استخدموه كذلك أداة للشفاء ودفع ما يصيب الرءوس من صداع يكاد يفتك بهم . فهذا بشر بن حازم يعلن عن استخدام قومه للسيف كأول أداة حربية يواجه بها الأعداء . وأول علاج لما أصابهم من فكر سىء حول هزيمة قوم الشاعر جلب الصداع الذى استطاع قوم الشاعر دفعه عنهم بضربه السيف(٣)

كنا إذا نعروا الحرب نعرة نشفى صداعهم برأس مصدم
نعلوا القوانس بالسيوف ونعتزى والخيل مشعلة النحور من الدم

وفى نفس المعنى قال عنترة العبسى حين وظف سيفه لدفع الوجل والصداع من نفوس الأعداء . وجعل مكانه فى ساحة الحرب ينادى يجيب مرضاه ليدفع عنهم ألم الصداع (٤) .

وسيفى كان فى الهيجا طبيباً يداوى رأس من يشكو الصداعا

ومما قيل عن السيف ووظائفه أن العرب كانت تطعن به كالرمح ، وتضرب به كالعمود ، وتقطع به كالسكين ، وتجعله سوطاً ومقرعة ؛ وتتخذه

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ١٨٦ .
(٢) ديوان عنترة ١٧٣ .
(٣) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى ١ / ٤٥١
(٤) ديوان عنترة ١٧١

جمالا فى الملأ . وسراجاً فى الظلمة . وأنساً فى الوحدة . وجليساً فى الخلاء وضجيعاً للنائم . ورفيقاً للسائر ... وهو قاضى القتال . وفيصل الحكم بين الرجال . (١)

كما قال بعضهم فيما يسند إليه من وظائف نفسية بجانب وظائفه القتالية(٢) السيف هو الصاحب الولى . والصديق الوفى . والرسول الوحى .

والسيف لا يعمل ولا تظهر وظائفه القتالية إلا إذا كان يساعد من تعود عليه . وفهم كيف يتعامل معه . ووطن نفسه على حسن استخدامه . ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوماً : من أجود العرب ؟ قيل له : حاتم الطائى . قال : فمن شاعرها ؟ قيل له : امرؤ القيس . قال فأى سيوفها أمضى ؟ قيل : صمصامة عمرو بن معدى كرب الزبيدى . قال فبعث عمر إلى عمرو أن يبعث إليه سيفه المعروف بالصمصامة . فبعث به إليه . فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه . فكتب إليه فى ذلك . فرد عليه : إنى إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ، ولم أبعث إليه بالساعد الذى يضرب به.(٣)

وإذا كانت هذه هى وظائف السيف — أو بعضها — فقد أحاط بها شعراء العرب منذ العصر الجاهلى ، وتحدثوا عنها فى محيطها ، وأحيانا ينسبون صاحبها إليها زيادة فى الشجاعة والإقدام . وما انفرد وصف لسيف أو إشادة بشدته وإنما لازم شجاعة صاحبه وقوة عزيمته وحسن استخدامه له .

فهذا جعفر بن علبة الحارثى أحد شعراء الجاهلية يتحدث عن فعل السيف فى الأعداء ، وكيف أنهم حاربوا بالسيوف وحققوا بها النصر المؤزر . وكانت لها المكانة الأولى بين الأسلحة الهجومية الدفاعية على السواء فقد

---

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ١٨٧ .

(٢) المصدر السابق ١٨٦ .

(٣) المصدر السابق ١٨٨ .

التقوا مع الأعداء والتحموا فى حومة الوغى . ودافعوا عن عشيرتهم بما قبضوا عليه من سيوف باترة .(١)

إذا ما ابتدرنا مأزقاً فرجت لنا ... بأيماننا بيض جلتها الصياقل
لهم صدر سيفى يوم بطحاء سمبس ... ولى منه ما ضمت عليه الأنامل

وتلك سيوف قوم النابغة وممدوحيه . وقد بين ماذا فعلت برقاب الأعداء حتى أصابها الكهام من كثرة ما أطاحت من الرؤوس . وأنها قوية مؤثرة حتى أنها تقطع العدة الحديدية من دروع وخلافه وتقتلع الهام اقتلاعاً وكذلك استخدمت سيوفهم فى الطعن كوظيفة ثنائية لها . وهذه السيوف عتيقة مدربة متوارثة من أقدم عهود العرب وأيامهم مما زادها قوة وصقلا غير أر كثرة القتل بحدودها يؤثر فيها .(٢) فيمدحها الشاعر وكأنه يذمها .

فهم يتساقون المنية بينهم ... بأيديهم بيض رقاق المضارب
يطير فضاضاً بينها كل قونس ... ويتبعها منهم فراش الحواجب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب
تورثن من أزمان يوم حليمة ... إلى اليوم قد جربن كل التجارب
تقد السلوقى المضاعف نسجه ... وتوقد بالصفاح نار الحباحب
يضرب يزيل الهام عن سكناته ... وطعن كابزاغ المخافى الضوارب

ويربط السموأل بن عادياء الشاعر الجاهلى بين حالتهم النفسية تجاه الحرب واستخدام السيوف وأن هذك علاقة بشر وسرور متى أحسن السيف قطع الرؤوس وأن سيوفهم منتشرة فى مشارق الجزيرة ومغاربها وتعمل فى نشاط زائد حتى تصاب بما أصيبت به سيوف ممدوحى النابغة . وكما أنهم فى حالة

---

(١) الأغانى ١١ / ١٤٦ .
(٢) ديوان النابغة ٤٧

تأهب نفسى واستعداد للقتال وصد غارات المعتدين فكذلك سيوفهم لا تغمد حتى يلحمونها .(١)

تسيل على حد الظباة سيوفنا ... وليست على غير الظبات تسيل
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب ... بها من قراع الدارعين فلول
معودة ألا تسل نصالها ... فتغمد حتى يستباح قبيل

أما سيوف بنى شداد وخاصة سيف عنترة فهى سيوف قتالية أهم وظائفها أنها تفصل الرقاب عن الأجساد . وتلقى بالرؤوس بعيداً كما يلقى حاصد الحنظل بثماره رمياً بعيداً خوفاً من أشواكها فتتناثر فى أماكن متفرقة . وزيادة على ذلك فإن سيف عنترة معود ألا يغمد ، فكل شيء له حالات سكون وعمل ؛ ويركن لمراحة فى حالة سكونه حتى الموت إذا خشى من عنترة وبأسه لقاه متخفيا . بينما سيفه يجابه الموت بشجاعة وجلاء وتحدى . وهذا دليل على قوة سيف عنترة بما يتناسب ومكانة صاحبه الحربية والقتالية .(٢)

ورماحنا تكف النجيع صدورها ... وسيوفنا تخلى الرقاب فتختلى
والهام تندر بالصعيد كأنما ... تلقى السيوف بها رؤوس الحنظل
ولقد لقيت الموت يوم لقيته ... متسربلا والسيف لم يتسربل

ويعلن عنترة أن ملكيته للسيف تأدية لوظيفته القتالية وليس إرهابا للنفوس أو متكأ كالعصا . أو مباهاة أمام القوم . وتلك من أنبل وظائف السيف قوله .(٣)

لا أملك السيف الاقدضربت به ... ولا تموت جيادى وهى أغمار

---

(١) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٣١٦ .٧٧٧
(٢) ديوان عنترة ٦٠ .
(٣) ديوان عنترة ٤٦ .

كما أنه أمين على تأدية وظيفة سيفه فى القضاء على الخصوم كما قال (١)

مازلت أنصف خصمى وهو يظلمنى حتى غدا من حسامى غير منتصف

أما سلامة بن جندل فقد طوع السيوف الهندوانية لتؤدى وظائفها فى تفريق القوم وإخلاء الصفوف أمام قومه حتى ينطلقوا يقطعون رؤوس الأعداء وتفرج لهم كل مأزق قتالى . وتلك وظيفة ثانية فهى مساعدة على الخروج من مآزق الحرب رهبة وخوفاً فى نفوس المقاتلين :(٢) بالإضافة إلى أنها عصى يتكأ عليها .

إذا الهندوانيات كن عصينا بها نتأ يا كل ساق ومفرق
نجلى مصاعاً بالسيوف وجوهنا إذا اعتقرت أقدامنا عند مأزق

وكذلك قال الشاعر الجاهلى عبد المسيح بن عسلة عندما استخدموا السيوف ولم يخشوا بأسها وكأنها العصى فى أيديهم يعبثون فى رؤوس الأعداء بها . ولكنه عبث من لون مؤلم إن فتشوا بهذه السيوف عن ما سكن فى الجماجم وجعلوه طعاماً لضباع عنيزة يكفيهم عاماً كاملا وتلك وظيفة أخرى للسيف فليس السيف قاطعاً فحسب بل حطموا به رؤوس الأعداء وكأنه «ساطور» القصاب شديد الضرب .(٣)

غدونا إليهم والسيوف عصينا بأيماننا نفلى بهن الجماجما
لعمرى لأشبعنا ضباع عنيزة إلى الحول منها والنسور القشاعما

أما الشاعر الجاهلى يزيد بن ضرار (٤) فيتحدث إلى سيفه حديث الود . فيذكره بأصله الحديدى الخالص . ودقة صنعه ، ومهارة صقله حتى يكون

---

(١) المصدر السابق ١٧٢ .
(٢) الأصمعيات ١٣٦ .
(٣) شرح المفضليات ٢ / ١٠٧٠ .
(٤) شرح المفضليات ١ / ٣٤١ .

قاطعاً محطماً يفرى عظام العدو وينثر لحمه . وحسبه أنه صناعة هندية متقدمة وعند كبرياء صاحبه الذى لا يختار له إلا الأبطال ليلقاهم ويصرعهم . فإذا كان صاحبه يكرمه هذه المنزلة فلا أقل من أن يقابل إكرامه بمثله فى تأدية وظيفته القتالية بصدق ومضاء عزيمة .

سلاف حديد مايزال حسامه ... ذليقاً وقدته القرون الأوائل
وأملس هندى متى يعل حده ... ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل
إذا ما عدا العادى به نحو قرنه ... وقد سامه قولا فدتك المناصل
ألست نقيا ما تليق بك الذرى ... ولا أنت إن طالت بك الكف ناكل
حسام خفى الجرس عند استلاله ... صفيحته مما تنقى الصياقل

أما طرفة بن العبد (١) — من شعراء المعلقات فى العصر الجاهلى — فيحدثنا عن سيف له وكيف يتقاتل مع الأعداء . وأنه دائما يحقق النصر الذى يرجوه كل أبى وأنه يمنح القابض عليه ثقة نفسية لا تضارعها ثقة . وهناك إخاء بينه وبين حسامه وهذا يدل على الاخلاص والتفانى فى المقاتلة المزدوجة :

وآليت لا ينفك كشحى بطانة ... لعضب صقيل الشفرتين مهند
أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة ... إذا قيل : مهلا قال حاجزه : قد
حسام إذا ما قمت منتصراً به ... كفى العود منه البدء . ليس بمعضد
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى ... منيعاً إذا ابتلت بقائمه يدى

أما قيس بن الخطيم فيصف ما كان بين قومه وخصومهم فى يوم حاطب وما الذى أداه السيف . وكيف كانت له وظيفة هجومية وأخرى دفاعية . كذلك ذكر يوم الحديقة حيث كانت السيوف خفيفة تتخطف رؤوس الأعداء وكأنها مخاريق الصبية يلعبون بها . وكذلك كان أمرهم فى يوم بعاث

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ١٩٤ .

حيث ارتفع شأنهم بفضل ما حققته سيوفهم حتى أصبحوا فى أمن من مكر العدو وغدره . فسيوفهم حصن أمان لهم من الغارات . وسبب رفعة ومنعة لهم بين القبائل قاطبة .(١)

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها ... خطانا إلى أعدائنا بالتقارب
أجالدهم يوم الحديقة حاسراً ... كأن يدى بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعاث أسلمتنا سيوفنا ... إلى نسب فى جذم غسان ثاقب
يعرين بيضاً حين نلقى عدونا ... ويغمد حمراً ناحلات المضارب

وما أحسن قول عنترة العبسى حين يصف سيفه ومكانته الحربية وكيف صار أليفاً إلى نفسه . خفيفاً على ساعده . يحركه كيف يشاء ويجعله عنصر تهديد لمن يتطاول عليه . وتلك وظيفة أخرى للسيف إذ يجلب الإرهاب النفسى للأشخاص قبل أن يتولى صاحبه الضرب فيهم .(٢)

وسيفى صارم قبضت عليه ... أشاجع لا ترى فيها انتشارا
وسيفى كالعقيقة وهو كمعى ... سلاحى لا أفل ولا فطارا

ويشيد الشاعر زيد الخيل الطائى بموقفه الإنسانى بفضل سيفه الذى أدرك به انقاذ من استجار به واستنجد بشجاعته . ولولاه أى السيف لكان هو والمستنجد به من الهالكين . فالسيف فى نظره منقذ وقت الضيق . ومفرج كرب المكروب .(٣)

ولما دعانى الخيبرى أجبته ... بأبيض من ماء الحديد صقيل
وما كنت ما اشتدت على السيف قبضتى ... لا سلم من حب الحية أكيل

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٥٦٠ .
(٢) المصدر السابق ١ / ٣٨٤ .
(٣) حماسة البحترى ٤٥ .

وقال قيس بن الخطيم فى يوم بعاث عن دور السيف وأنه صار عدته القتالية وقومه ثم يعرضه كعدة تهديدية لمن تسول له نفسه أن يتطاول عليهم(١)

وإذ سيوفنا ذهبت عليكم بنى شر الخنا مهلا بعيداً
ويبنى جمعكم إلا فراراً ويأبى جمعنا إلا ورودا
وإذ وعيدنا كم حين نمشى بهن على المنون ولا وعيدا

وصوت السيف معروف مألوف فى الحروب(٢) . يدركه كل شجاع مجرب ويتعرف عليه كل من ثبت جنانه فى المعركة . وهذا عنترة قد وصف لنا حال القوم عند اضطرابهم فى المعركة وقد خفتت أصواتهم وانصرفوا إلى ما هم فيه إلا أن صوت السيف تجاوب مع صوت اندفاع الدم من الأعداء ، مما يدل على شدته فى القتال :

إذا اضطربوا سمعت الصوت فيهم خفياً غير صوت المشرفى
وغير نوافذ يخرجن منهم بطعن مثل أشطان الركى

أما عبيد بن الأبرص فيعطى صورة لقومه يوم «غول» ويعدد كيف انتصروا بإحتوائهم السيوف البتارة والتى كان لها أوقع الأثر فى نفوسهم انتصاراً وأشده تقطيعا فى نحور الأعداء . فلقد تقابل قومه مع عبد القيس وكانوا يستخدمون الخيول عدة قتالية حيوانية والسيوف دعامة هجومية دفاعية .(٣)

صبحناهم بكل أقب نهد ومطرد له يقد الحديد
وابيض يخطف القصرات غضب رقيق الحد زينه غمود

(١ مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٥٧٤ .
(٢ ديوان عنترة ٢٦٨ .
(٣ ديوان عبيد بن الأبرص ٥٠ .

لقينا جمعهم صبحاً فكانوا كمثل الضأن عاداهن سيد
لقيناهم ببيض مرهفات نقتلهم بها حتى أبيدوا

ومن أبلغ صور الوصف للمعركة استخدام السيف كآلة ضرورية فى المقاتلة قول عمرو بن كلثوم مهدداً ومتوعداً عمرو بن هند الذى تطاول عليه.(١)

ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى يبينا
ونحن إذا عماد الحى خرت على الأحفاض نمنع من يلينا
ندافع عنهم الأعداء قدما ونحمل عنهم ما حملونا
نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا
نجز رؤوسهم فى غير بر فما يدرون ماذا يتقون
كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدى لاعبينا

وما أحسن قول عنترة حين يطرب لسماع صوت السيف والآلات الحربية الأخرى فى المعركة ويخصه لمكانته القتالية التى لا يعرفها إلا الأبطال .

أطيب الأصوات عندى حسن صوت الهندوانى
وصليل الرمح جهراً فى الوغى يوم الطعان
والدما تجرى عليها لونها أحمر قانى
فاسمعانى نغمة الأسياف حتى تطمئنان

وإذا كان بعض شعراء العصر الجاهلى قد تناولوا الحديث عن السيوف المقاتلة بالتفصيل فى وظيفتها الحربية . فإن منهم من أثر ذكر البيت أو البيتين مشيراً إلى ذلك فى بلاغة وحسن عرض موجز حين تحدثوا عن معارك أقوامهم أو مدحوا رجالا لهم من جلائل الأعمال البطولية فى ساحات الحروب ما

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٣٦٦ .

يستحق ذلك المديح أو افتخروا على غيرهم وعدوا حسن استخدام السيف من مكارم الأخلاق وحميد الصفات .

ومن أمثال مدحهم الطيب بمكانة الرجل بين قومه كمكانة السيف بين سائر أدوات القتال الأخرى قول زهير بن أبي سلمى (١) .

كالهنوائى لا يخزيك مشهده وسط السيوف إذا ما تضرب البهم

أما عنترة فيمدح قومه بشدة حرصهم على السيوف وخاصة ما طاب منها صناعة وحسن قطعاً وجمل بريقاً فى ظلمة المعمعة كالشهب فى الليل البهيم (٢)

تداعى بنو عبس بكل مهند حسام يزيل الهام والصف جانح
وكل رديني كأن سنانه شهاب بدا فى ظلمة الليل واضح

وهذا عمرو بن براق يشيد بمكانة السيف وأنه يمنح صاحبه ثروة من الأمان والأطمئنان النفسى ويجعله دائماً فى حالة تأهب واستعداد لغوث أى مستغيث ونصرة أى مظلوم ، فهو ماله الذى يعتز به ولا يفرط فيه .(٣)

وكيف ينام الليل من حل ماله حسام كلون الملح أبيض صارم

ما عمرو بن الورد فيعلن للأعداء أن يرهبوه وليفسحوا له الطريق حيث يحمى نفسه بالسيف القاطع المصقول والويل لمن يعاديه فسيفه معود على قطع رقاب خصومه ، ومخلص له طائع لأمره .(٤)

بكفى من المأثور كالملح لونه حديث باخلاص الذكورة قاطع

وبنفس الصورة السابقة يعرض المتنخل الهذلى الحديث عن سيفه .(٥)

---

(١) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٢٧٠ / ٢ .
(٢) ديوان عنترة ٣٠٢ .
(٣) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ١٥٣ .
(٤) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ١٧٧ .
(٥) ديوان الهذليين ٩٣ .

كلون الملح ضربته هبير يثر العظم سقاط سراطى

وهذا عمرو بن الحثارم يصف فعل قومه بالأعداء بفضل ما منحوا من قوة وبطش استمدوها من السيوف اللامعة التى صارت تبرق فى ظلام المعركة(١):

شددنا عليهم والسيوف كأنها بأيماننا غمامة تتبسم

ويحتفظ الأعشى وقومه بالسيوف وديعة غالية ليوم النضال حيث ترد عنهم كيد المعتدين وظلم الظالمين . فهى ما نعتهم من الأشرار وتجلب لهم الراحة والأطمئنان .(٢)

وبيض كأمثال العقيق صوارم تصان ليوم الدوخ فينا وتحشب

ويقيم أبو كبير الهذلى معوج القوم من الأعداء بحد سيفه متى صعب عليهم طاعته وقومه . فالسيف وسيلة لإخضاع من يعصيهم . وحماية لهم ضد من يعاديهم .(٣)

نضع السيوف على طوائف منهم فنقيم منهم ميل مالم يعدل

وبنفس الصورة السابقة يقول المتنخل الهذلى .(٤)

تعلو السيوف بأيدينا جماجمهم كما يغلق مرو الأمعز الصرح

ويسهم الشنفرى من كبار شعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى بإبراز صورة سيوف جماعته وكيف يغيرون عن الآخرين . وتحميهم سيوفهم ، ويفرقون بها من يتعرض لهم . ويشبعونها من دمائهم حتى تغدوا كأبناء البقر التى تلهوفى كل أتجاه . ولكنها ملطخة بدماء خصومهم .(٥)

---

(١) المفضليات ١١٤ .

(٢) ديوان الأعشى قصيدة رقم ٣٠ .

(٣) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى ٦٤٦ .

(٤) المصدر السابق ٦٢٦ .

(٥) المصدر السابق ٨٣ .

إذا فزعوا طارت بأبيض صارم ورامت بما فى جفرها ثم سلت
حسام كلون الملح صاف حديده جراز كأقطاع الغدير المنعت
تراها كأذناب الحسيل صوادراً وقد نهلت منها الدماء ، وعلت

وعن السيف يقول الشنفرى فى وظيفته القتالية .(١)

وأبيض من ماء الحديد مهند مجذ لأطراف السواعد مقطف

كما وصف عنترة سيفه فى أكثر من موضع وكيف استطاع به أن يكشف عن شخصية المقاتلين ويفتك بهم وما أدرعوا به من ملابس ظنوا بها حمايتهم(٢)

ومشل سابغة هتكت فروجها بالسيف عن حامى الحقيقة معلم

وقال عنه (٣) وصفا لمتانته وتحمله فى الطعن والقطع :

فظلنا نكسر المشرفية فيهم وخرصان لدن السمهرى المثقف

ب ـ مكانة الرمح فى المعارك :ـ

وكما أتخذ العرب منذ العصر الجاهلى السيف دعامة حربية قتالية اتخذوا الرمح وجعلوه من أهم العدة التى تبرهن على كفاءة الضارب بها وذكائه وحسن اختياره لمكان الطعن والتصويب القاتل . فصارت الرماح من أقوى عدتهم فى الحرب .

وقد اطلقوا عليها أسماء عديدة نظراً لتنوعها وقدرتها على الفتك وجودة صناعتها ومهارة المقاتل بها : فمنها : الصعدة . والمثقف . وعاسل وعسال وعراص . ولدن . وذابل ومارن وسمهرى وصدق وثلب . ومنها الخطى منسوب إلى أرض فارس . والبزنى منسوب إلى ذى يزن باليمن . والرديني

(١) المصدر السابق ٨٨ .
(٢) ديوان عنترة ٢١١ .
(٣) المصدر السابق ٢٣٠ .

منسوب إلى امرأة مهرت فى صناعتها وكانت تباع عندها . ومنها الأحمر وهو «الأظمى» مأخوذ من الظمأ وهو العطش . واللهذم النافذ السنان . . المنجل العريض السنان . والوشيج والمران .(١)

واستخدموا هذه الأنواع من الرماح فى عمليات الهجوم والدفاع والإجهاز فهى عدة صالحة لكل هذه الأغراض والتزود بها أمر ضرورى للفرس أو الراجل حتى يكون فى مأمن من العدو ومباغته . وتدربوا على كيفية استخدامها فى كل حالات حروبهم ركباناً أو رجالا . كما تدربوا على الركوب ومعهم الرماح أو النزول بها أو ألتقاطها أثناء الكر والفر حتى لا تصيبهم أذى أو تصيب خيولهم مما كسبهم ثقة بأنفسهم باستخدامها حماية لأنفسهم ضد كل غاز أو غاصب لحق حافظوا عليه حتى قال بعضهم : الرماح هى القوالى . والسمر الحوالى . وقرون الجياد . وأرشية قلوب الأكباد . بها تستمام المهج . الفروج والفرج . خلقت كالأراقم . لثغر الحلاقم . فسليمها معذور . وكليمها مذعور .(٢)

وكان لشعراء العصر الجاهلى دور بارز فى الإعلان عن قيمة الرمح ووظيفته الحربية ومكانته بين جميع أنواع الأسلحة التى يستخدمها الفرسان فى كل حالات الحرب . وأدركوا أن النصر المؤزر هو ما كان يستخدم فى تحقيق الرمح ببدأ أو يساعد الأسلحة الأخرى . فإن هناك وظيفة رئيسية له وهى الطعن القوى المخرق المميت لكل من يصوب إليه ويستهدف به .

فهذا عنترة يفتخر فى إحدى معاركه كيف هزم أبطالها ونال منهم ما يشفى صدره ومزقهم تمزيقاً مع شرف مكانتهم بين أقوامهم ولكنها الحرب

(١) حلية الفرسان وشعار الشجعان ٢٠٣ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ٨٨ .

الضرس والرمح الفتاكة بيمينه أحيانا وبشماله أخرى حتى استطاع أن يؤدى وظيفته القتالية بشجاعة صاحبه وصدق عزيمته فى القتال .(١)

ومدجج كره الكماة نزاله ... لا ممعنا هربا ولا مستسلم
جادت يداى له بعاجل طعنة ... بمثقف صدق القناة مقوم
برحيبة الفرغين يهدى جرسها ... بالليل معتس السباع الضرم
كشت بالرمح الطويل ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

وكأن الشعراء اخترعوا للرمح وظيفة قتالية أخرى تساعدهم فى الإجهاز على الخصم وهى تمزيق ثيابه ، فكما قال عنترة فى بيته الأخير فى المشهدالسابق قال سلامة بن جندل معلنا أنهم يتفحصون المقاتلين فمن كشف عن صدره وجهوا إليه السيوف ومن كشف عن رأسه ضربوه عليها قطعاً ومن كمش فى ثيابه أزالوها عنه ليكشفوا عن جسده فتناله أسلحتهم وفعلوا ذلك بالرماح (٢)

فمن يك ذا ثوب تنله رماحنا ... ومن يك عريانا يوائل فيسبق

كما افتخر الشعراء بملكية أقوامهم للرماح التى تردى الأبطال وكأنهاالسم الزعاف الذى لا يمكن مداواته . وذلك ما قاله ربيعة بن مقروم :(٣)

وإذا لمن قوم تكون رماحهم ... لأعدائهم فى الحرب سماً مقشبا

فإذا كانت هذه رماح قومه فقد اختار لنفسه منها ما يثبت به ذاته فى المعركة . ويحقق النصر بحسن استخدامه . فيقول لمحبوبته وقد عزمت هجره أنه قتلك بالأعداء . يستخدم كل وسائل الدفاع عن عشيرته ويعارض الهجوم

---

(١) ديوان عنترة ٢١٠ .
(٢) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى — ٤٧٧ .
(٣) المفضليات ٧٣٧ .

الكاسح عليهم حتى ينال منهم مالا تناله مجموعة مسلحة وذلك ببراعته بالطعن بالرمح .(١)

فيارب خصم قد كفيت دفاعه ... وقومت منه درأه فتنكسا
ووارده كأنها عصب القطا ... تثير عجاجاً بالسنابك أصهبا
وزعت بمثل السيد نهد مقلص ... كميش إذا عطفاه ماء محلبا
وأسمر خطى كأن سنانه ... شهاب غضى شيعته فتلهبا

وهذا يزيد بن ضرار يصرح فى مطولة له عن مكانته بين قومه . يعدد ما لديه من عدة قتالية متكاملة . حيوانية وحربية . ويقدم عليها كلها لرمح فى ذكره لوظائفها لإيمانه بأن من ملك هذا السلاح أمن التقدم وهاجم وتلاحم وأجهز على خصمه بإستخدامه والعدة الأخرى .(٢)

فقد علمت فتيان ذبيان أننى ... أنا الفارس الحامى الذمار الماتل
وأنى أرد الكبش والكبش جامح ... وأرجع رمحى وهو ريان ناهل

ويشير ربيعة بن مقروم عندما يمدح قومه بأنهم أهل حرب قد عرفوا فنونها وأعدوا لها عدتها . ولكنه يبدأ بذكر الرماح كآلة حربية لها مكانها فى يمين الفارس . وبأول طعنة بها يستطيع أن يحدد موقفه من العدو :(٣)

وقومى فإن أنت كذبتنى ... بقولى فاسأل بقومى عميا
أليسوا الذين إذا أزمة ... ألحت على الناس تنسى الحلوما
يهينون فى الحق أموالهم ... إذا اللزبات التحين المسيما

---

(١) شرح المفضليات ٣ / ١٢٦٨ .
(٢) المصدر السابق ١ / ٣١٩
(٣) شرح المفضليات ٢ / ٦٧٦ .

طوال الرماح غداة الصباح ذوو نجدة يمنعون الحريما

وعن هول فعل الرماح فى المحاربين عن أى أداة حربية أخرى يفصح عبد يغوث بن وقاص الحارثى حين أسر أنه ظل يحمى قومه ويدافع عنهم مع أنه كان بإمكانه الفرار بفرسه فلا يقع فى الأسر ، ولكن شدة الرماح فى أبطال قومه وقد صوبها العدو إليهم جعلته يثبت مدافعاً حتى لا يلحقه عار الفرار وقد أدرك أن خطر الرماح واقع به لا محالة . فتلك عدة لها مكانتها الحربية بين أدوات الحرب الأخرى .(١) ولا يستهان بها متى أحسن الأبطال استخدامها .

جزى الله قومى بالكلاب ملامة صريحهم والآخرين المواليا
فلو شئت نجتنى من الخيل نهدة ترى خلفها الحو الجياد تواليا
ولكنى أحمى ذمار أبيكم وكان الرماح يختطفن المحاميا

وعن التهديد بفعل الرماح يقول عبيد بن الأبرص :(٢)

هذا ولو قدرت عليك رماح قومى ما انتهينا

ومن قوة فعل الرمح فى الأعداء وتفوقه على جميع عدة الحرب الأخرى أنه يهب الشجاعة والإقدام لكل من يستخدمه ويزيده مواجهة للأعداء حتى ولو كان جبانا لا يستطيع مجابهتهم . وهذا ما قاله عنترة العبسى عن رمحه.(٣)

ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلق السباعا

وإنها لصورة عكسية فرمح عنترة مجرب مدرب وقد أكتسب شجاعة

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٦٠٨ .
(٢) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى – ٢ / ٥٩٧ .
(٣) ديوان عنترة ١٧١ .

من شجاعة صاحبه حتى بدت القوة فى قلب من يحارب به . فله قوتان من عنترة ورمحه .

وهذا المتنخل الهذلى يشبه الإنسان القوى الشجاع بالرمح لمكانته فى الحرب وفعله فى جسوم الأعداء . فقال حين أتاه نعى عزيز عليه :(١)

أقول حين أتانى الناعيان بـــه : لا يبعد الرمح ذو النصلين والرجل
رمح لنا كان لم يضلل تنـوءبه تـوفى بـه الحرب والعزاء الجلل

وعن الرماح وفعلها فى الأعداء يقول سلامة بن جندل مفتخرا بنصرة قومه لتفوقهم حربيا على خصومهم . ومهارة أبطاله فى محاربتهم وحسن استخدامهم للرماح كعدة تحتاج إلى مهارة ودربة تامة .(٢)

تجلو أسنتهـا فتيـان عاديـــة لا مقرفين ولا سود جعـــابيب
سوى الثقاف قناهم فهى محكمـة قليلـة الزيغ من سن وتركيب
زرقاً اسنتها حمـراً مثقفـــة أطرافهن مقيـل لليعاسيـــب
كأنها بأكف القـوم إذ لحقـوا مواتح البئر أو أشطان مطلـوب
كلا الفريقين أعـلاهم وأسفلهم يشقى بأرماحنـا غير التكـاذيب

أما عميرة بن جعل بن مالك فيعطى صورة للبطولة بأنه أعد للقاء الأعداء أداة الحرب القتالية الأولى وهى الرمح وكفاه بها شر كل من تسول له نفسه أن ينال منه . فهذا الرمح يكفيه مأمنا من هول اللقاء وما فيه .(٣)

فمن مبلغ عنى إياساً وجندلا أخا طارق . والقول ذو غيان

---

(١) موسوعة الشعر العربى – العصر الجاهلى – ٦٢٢
(٢) شرح المفضليات ١ / ٤٣٨ .
(٣) شرح المفضليات ٢ / ٩٣٥ .

فلا توعداني بالسلاح فإنما جمعت سلاحي رهبة الحدثان
جمعت رديني كأن سنانه سنا لهب لم يستعر بدخان

ولأن الرمح يغوص في جسوم الأعداء فقد تناوله الشعراء من حيث الرى من دمائهم والإجهاز عليهم . فلاحياة لمن نزف دمه وشربها الرمح بعد ظمأ . فربما تأخر نزف الدم بالآلات الحربية الأخرى ولكن الرمح غير صبور فينقب عنه ليرتوى ويرمق ما زاد عن حاجته .

وقد أخذ هذه الصورة الشاعر المهلهل بن ربيعة فأبرزها في أكثر من قطعة نظمية لمكانة الرماح وقوتها .(١)

نرى الرماح بأيدينا فنوردها بيضاً ونصدرها حمراً أعالها

وقوله :(٢)

غداً نساق فاعلموا بيننا رماحنا من قانىء كالرحيق

وعن سقى السيف والرمح يبدع عنترة في صورة فخرية له مبرزا مكانهما الحربي :(٣)

سلى سيفي ورمحي عن قتالي هما في الحرب كانا لي رفاقا
سقيتهما دماً لو كان يسقى به جبلا تهامة ما أقاما

ويحتاج الطعن بالرماح إلى صبر من المقاتلين حتى يسددوا الطعنات النافذة ويتم الإجهاز على الخصم دون تمكن إنقاذه . وهذا ما صرح به زهير بن جناب عندما صبر قومه عند لقائهم غطفان وانتصارهم عليهم بالرماح الطاعنة :(٤)

---

(١) موسوعة الشعر العربي – العصر الجاهلي – ١٩٣ .
(٢) المصدر السابق ٢٠٩ .
(٣) ديوان عنترة ١٧٨ .
(٤) الكامل لابن الأثير ١ / ٥٠٣ .

فإنا حيث لا يخفى عليكم ... ليوث حين يختضر اللواء
فقد أضحى لحى بنى حناب ... فضاء الأرض والماء الرواء
نفينا نخوة الأعداء عنا ... بأرماح استهلا ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا ... لقينا مثل مالاقت صداء
غداة تضرعوا لبنى بغيض ... وصدق الطعن للنوكى شفاء

أما حاجب بن دينار المازنى فيفخر بمقدرة قومه على تحقيق الانتصارات فى الحروب العديدة بفضل حسن استخدامهم للعدة الحربية ممثلة فى الرمح والسيف . ويعطى الرماح حقها من شدة الطعن وقوته (١) فقومه :

عتاة قراة فى الشتاء مساعر ... حماة كماة كالليوث الضراغم
بأيديهم سمر من الخط لدنة ... وبيض تجلى عن فراخ الجماجم
أولئك قومى إن فخرت بعزهم ... فخرت بعز فى اللهى والغلاصم
هم أنزلوا يوم السلى عزيزها ... بسمر العوالى والسيوف الصوارم

وهذا ضرار بن الخطاب يجعل للطعن بالرماح مذاقاً يألفه المقاتلون .(٢)

فلما التقينا أذقناهم ... طعانا بسمر القنا العائر

ويعطينا عنترة العبسى صورة صوتية للرماح حين تشرع إلى جسوم الخصوم وكأنها هرير كلاب يتقين الأفاعى . وتلك صورة بيئية تدل على هول وقع الرماح فى المصابين وكثرتها كعدة أكيدة فى المعارك الجاهلية .(٣)

حلفت لكم والخيل تردى بنامعاً ... نزايلكم حتى تهروا العواليا

---

(١) العقد الفريد ٦ / ٦٠
(٢) أيام العرب ٣٣٦ . محمد أحمد جاد المولى وآخران
(٣) نقائض أبى عبيدة ١ / ٤٢١ .

عوالى سمر من رماح ردينة هرير الكلاب يتقين الأفاعيا

وكذلك قوله تعبيراً عن صوت الرماح الفتاكة :(١)

تصيح الرديفيات فى حجباتهم صياح العوالى فى الثقاف المثقب

أما أمية بن أبى الصلت فيشبه صوت الرماح مصوبة إلى الخصوم بصوت السيول الجارفة التى تحطم كل ما يقابلها وتمتلط فيها الأصوات المفزعة .(٢)

كأن رماحهم سيل مطل وأمساك بأيدى موردينا

أما الطفيل الغنوى فيصف رمحه وكيف يبرق كالشهاب فى الفضاءعندما يصوب إلى هدفه وينطلق إليه كما تجرى الشهب فى كبد السماء مسرعة براقة خاطفة بالأبصار .(٣)

طوال الساعدين يهز لدناً يلوح سنانه مثل الشهاب

ويأخذ فى تكرار صورة الرمح المصيب باللهب المشتعل الشاعر قيس بن الخطيم عندما يصف سيد خصومه وقد أصابه رمح فجعله يكر ولا يدرى ما به من هول وقع الرمح ومن شدة انطلاق نزف الدم كأنه لهب مشتعل يجرى به .(٤) وهذا دليل على قوة فتك الرماح فيمن تصيب .

غدودر عند المكر سيدهم فيه سنان تخاله لهبا

وصناعة الرمح الحديدية تجعل رأسه أزرقاً من أثر تحويلها إلى شكلها المؤثر . ولكن سرعان ما يتحول هذا اللون الأزرق إلى سمرة من كثرة استعماله فى الطعن وريه من دماء الخصوم . وقد تناول هذا الموقف حاتم

---

(١) العقد الثمين ٣٥ .
(٢) ديوان أميه بن أبى الصلت ٦٦ .
(٣) ديوان الطفيل الغنوى ٥٧ .
(٤) ديوان قيس بن الخطيم ٣٠ .

الطائى حين وصف الرماح بقوله .(١) آخذاً أوصافها من لون عيون الروم والعرب فى لونيهما .

مثقفات سلبن الروم زرقتها والعرب سمرتها والعاشق المضفا

أما دعبل الخزاعى فيصف الرمح بلونيه وأن سنانه يخفى السم القاتل كالحية الرقطاء التى لا علاج لمن تصيبه .(٢)

وأسمر فى رأسه أزرق مثل لسان الحية الصادى

وبفعل الرمح الذى لا يقل عن لدغ الثعبان يتحدث المزرد فى شدة انطلاقه وطعنه العدو الطعنة المميتة بقوله :(٣)

أصم إذا ما هز مارت سراته كما مار ثعبان الرمال المرائل

وبتصوير قوة فتك الرماح ونزفها للدم مندفعاً كأنها أشطان البئر تحدث شعراء العصر الجاهلى مبرزين هذه الصورة القتالية . فيقول عنترة على شدة وقع الرماح فى صدر فرسه الأدهم ومدى تحمله إياها :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

ويقول سلامة بن جندل على قوة ضرب القوم بالرماح كعدة قتالية مميتة(٤) :

كأنها بأكف القوم إذ لحقوا مواتح البئر أو أشطان مطوب

ويقول سعد بن جؤبة الهذلى مشبها الرماح فى كثرتها بالغاب وقوة دفعها بأشطان البئر .(٥)

فى مجلس بيض الوجوه يكنهم غاب كأشطان القليب منصب

---

(١) عيون الأخبار ١ / ١٣٠ .
(٢) عيون الأخبار ١ / ١٣٠
(٣) المفضليات ١٧٧ .
(٤) المفضليات ٢٢٩ .
(٥) ديوان الهذليين ١٨٣ .

جـ — ثنائية اللقاء بين السيف والرمح :

ولإظهار مكانة السيف والرمح فهناك العديد من الشعراء الذين تحدثوا عنهما حديثا منفصلا مظهرين تكافؤ القتال بينهما . وكيف كان الفارس يحرص أن يكونا عدتين له فى كل صولاته وجولاته بين صفوف المحاربين . يخرج السيف من غمده ليقطع به ثم يغمده ليطعن بالرمح فيردى خصمه قتيلا وكأن بين السيف والرمح نسب ومصاهرة على الإجهاز بعد الضرب والطعن .

وغالبا ما كان يستخدم هذين النوعين من العدة الحربية غير الفرسان الذين هم فى حالة استعداد تام للنجدة وللقاء مع الخصوم . وقد أكثر عنترة العبسى من ذكرهما وخصهما عن بقية أدوات الحرب الأخرى حيث كانا عدته التى صرح بملازمتهما له منذ كان فى المهد وعقدت الصلة القوية بينهم جميعا .

ومسى فى المهد كانا فوق صدرى يؤنسانى

وقد أبان عنترة ملازمة السيف للرمح فى النجدة والدعوة للقتال حين يدعى الأبطال بقوله : (١)

لما سمعت دعاء مرة إذ دعا ودعاء عبس فى الوغى ومحلل
ناديت عبسا فاستجابوا بالقنا وبكل أبيض صارم لم ينحل
حتى استباحوا آل عوف عنوة بالمشرفى وبالوشيج الذبل

أما دخوله المعركة فكان يلتزم بهما حتى يحقق الخطة الحربية التى أعدها للقاء الأبطال . وحتى تؤدى هذه العدة الثنائية دورها فى القتال بحماسة ونصر مؤزر . فيقول عنترة عنهما : (٢)

---

(١) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٣٨٧ .
(٢) ديوان عنترة ٢١٠ .

ومدجج كـره الكمـاة نزالـه ... لا ممعـن هـرباً ولا مستسـلم
جادت يـداى لـه بعـاجل طعنـة ... بمثقف صـدق القنـاة مقـوم
برحيبـة الفرعـين يهدى جرسها ... بالليـل معتـس السبـاع الضرم
كمشـت بالرمـح الطويل ثيـابه ... ليس الكـريم عـلى القنـا بمحـرم

وهذا أنيف بن حكيم النهانى يتحدث عن ثنائية السيف والرمح وكيف استخدم السيف والرمح حيث يجب استخدام كل منهما ليسلم للآخر إجهازاً على الخصوم . وتبيانا للتعاون بينهما كعدة قتالية متكاملة : (١)

فلمـا التقينـا بين السيف بيننـا ... صدور القنـا منهم وعلت نهالهـا
ولمـا تدانـو بالرمـاح تضلعـت ... لسائلـة عنـا خـفى سؤالهـا

أما الأفوه الأودى فيوظف السيف فى عمل قتالى فتاك وهو الضرب فى الرقاب وتحطيم الرؤوس ، كما يوظف الرمح للطعن فى الكلى حتى يكون نافذ التأثير : (٢)

تخـلى الجماجـم والأكف سيوفنا ... ورماحنا بالطعن تنتظـم الـكلى

وهذا أبو كبير الهذلى يعلن كيف حارب قومه بالسلاحين معاً حتى قضوا على الخصوم وحققوا النصر : (٣)

شددنـا عليهـم ثم بالجـو شـدة ... فـلا لـكم أما دعونا ولا أبـا
بكـل رقـاق الشفرتين مهنـد ... وأسمر عـراص المـزة أرقبـا

أما سلامة بن جندل فيشيد بثنائية القتال بالسيف والرمح . ويصفها وصفا

---

(١) الحماسة ١ / ١٧٢ .
(٢) موسوعة الشعر العربى العصر الجاهلى ٣٨٣ .
(٣) المصدر السابق ٦٠٥ .

يليق بمكانتهما الحربية . وكأنى به جعل لها الصدارة فى العدة القتالية إيمانا منه بالدور الذى يقومان به :(١)

همت معد بنا هما فنهتها ... عنا طعان وضرب غير تذبيب
بالمشرفى ومصقول أسنتها ... صم العوامل صدقات الأنابيب
يجلو استنها فتيان عادية ... لا مقرفين ولا سود جعابيب
سوى الثقاف قناها فهى محكمة ... قليلة الزيغ من سن وتركيب
زرقاً أسنتها حمراً مثقفة ... أطرافهن مقيل لليعاسيب
كأنها بأكف القوم إذ لحقوا ... مواتح البئر أو أشطان مطلوب

وعروة بن الورد يتحدث مفتخرا بثنائية اللقاء بين السيف والرمح فى يوم ساحوق حتى شنق بعض المنهزمين أنفسهم خوفاً من لقاء العدة الحربية أو الأسر ففتح عملهم هذا مكانا لتهكم الشاعر بهم وإبراز مكانة تلك العدة فى الحرب .(٢)

ونحن صبحنا عامراً فى ديارهم ... علالة أرماح وضرباً مذكرا
بكى رقيق الشفرتين مهند ... ولدن من الخطى قد طرأ سمرا
عجت لهم إذ يخنقون نفوسهم ... ومقتلهم تحت الوغى كان أجدرا

د — القتال بالسهام وعدتها :—

والأداة القتالية الثالثة التى اشتهر بها فرسان العصر الجاهلى ومحاربوه هى السهم . والسهم لا يعمل بمفرده . وإنما يحتاج إلى محطة انطلاق . شأنه فى ذلك شأن الصواريخ فى أيامنا . وكأنهم أدركوا أن قوة الدفع مع شدة توجيه

---

(١) المفضليات ٢٣٩ .
(٢) الكامل لابن الأثير ١ / ٦٤٤

السهم المدفوع يصيب الهدف ويؤدى وظيفته القتالية فى براعة وحنكة حربية. فكانت محطة انطلاق السهم هى «القوس» . وتلك المحطة من خشب معين له أوصاف المرونة والمتانة والقدرة على التحمل والتثنى بحيث لا يكسر أو يتلف وخص به شجر حمل تلك الأوصاف واعتنوا بزراعته وريه . حتى صار لديهم مخزون منه يتفننون فى صناعة القوس ويعدلون فى شكله بما يتناسب وادراكهم الحربى . ولاقوس أداة الدفع للإنطلاق بشدة وبسرعة وهى الوتر وكان من جلد الإبل بعد دبغه والحفاظ عليه لينا مرنا . يشدونه للخلف بقوة ويتركونه فجأة ليصدم مؤخرة السهم لينطلق من وسط القوس الخشبى المرن فينطلق ميمما هدفه القتالى .

والسهم مصنوع من الحديد ذى البأس الشديد . وسنن طرفه مدببا بحيث يسهل اقتحامه جسوم الأعداء بسهولة ويسر . وطرفه الآخر عريض يتحمل ضربة الوتر للإنطلاق ويستوعبها .

فكانت هذه الأداة المركبة يستخدمها الفارس والراجل على حد سواء ويجهز المقاتل نفسه بالعديد من السهام لأنها حين تنطلق لا ترد وإنما تستقر فى هدفها . وتصوب عن بعد وتحتاج لمهارة «التنشين» التصويب وتحديدالغاية كما تتطلب حدة الإبصار حتى يركز على مقتل الرجل فيصيبه ويرديه . كما كانوا يحملون معهم أكثر من قوس وأوتار فإذا تكسرت أو تعطل عمل الوتر وجدوا البديل . فلا تكاسل أو تباطؤ وقت القتال . وإنما إمداد ذاتى فى الحال قد حمل الفارس عدته على فرسه وانطلق بها حيثما يجعل مكان تصويبه أو جعل مخزن القسى قريبا منه إن كان مختبئا خلف صخرة أو متخذها ساترا له حتى لا يراه العدو .

وكانت التدريبات القتالية تتطلب مهارة فى استخدام القوس وأطلاق

السهم حتى يسرع المقاتل فى إصابة هدفه ولا يتباطأ فيكون هدفا لغيره من الأعداء .

والقتال بالسهام والأقواس يحتاج إلى ضوء يكفى لتوضيح الهدف الذى يصوب إليه المقاتل قذيفته . فلا يحارب به عن قرب أو تحت جنح الظلام وإنما يكون «للمناوشة» وإعلان بدء القتال عن بعد عندما تتضح الرؤية لجميع المقاتلين .

وقد تدرب رماة السهام على إطلاقها منذ العصر الجاهلى ، وجعلوا أحسنهم درية من يصيب بالسهم المفرد إلى ستة أسهم . وجعلوها نهاية الاصابة . فمن لم يستطع إصابة هدفه بسهم من الستة فلا قدرة له على القتال بالسهام . وليتحول إلى عدة غيرها فهو عبء على قومه ومفسدة لهم . وقد قسمها صاحب حلية الفرسان بقوله : وأعلم أن الأول من السهام يسمى «دليلا» والثانى «بانيا» . والثالث «ظهوراً» والرابع «طالبا» والخامس «ضارباً» والسادس «سد ذريعة» . فإذا رميت الدليل وجاء فوق الإشارة . ورميت البانى وجاء تحتها ، ورميت الظهور وجاء يمينا . ورميت الطالب وجاء يساراً فارم الخامس كاسمه كما ذكرنا والسادس وهو المحقق . وهو سد الذريعة . ومن رمى الستة ولم يصب بأحدها فرمايته خداج (نقصان) . فلا يتعاهد الرمى أبداً ، ومن أصاب باثنين فتغله قد تيسر . ومن أصاب بأربعة فهو قد أصاب كثيراً من الصنعة ومن أصاب الستة فقد جاز درجة المنتهى .(١)

كما تدرب المقاتل على كيفية استخدام الوتر وشدة جهته وإحكام اطلاقه وضربه لمؤخرة السهم . ووضع السهم فى استقامة موجهة وتمكن من عدم الانحراف بعد الإنطلاق وكلها أمور تدريبية حربية قتالية .

---

(١) حلية الفرسان ٢٢٢ .

ولمكانة السهام فى الحروب العربية منذ العصر الجاهلى كقوة قتالية فتاكة مردية وقف الشعراء يؤدون واجبهم تجاهها . ويمجدون فعلها . ويحثون القوم على الرمى بها فهى كما ذكر صاحب الحلية على لسان القوس ، ولم يعين القائل (١) :

سهامى نافذات فى الأعادى ... إذا الرامى أجاد بى الرميه
أقيم بكفه ويصير سهمى ... إلى بعد ويدرك كل غايه
وليس الرمح يفعل مثل فعلى ... ولا السيف المهند فى الحمايه
فخرت على السلاح بذا وفضلى ... إذا فكرت ليس له نهايه

وإذا كان هو حديث السهم عن نفسه فماذا قال شعراء الجاهلية فى تلك العدة الثلاثية المركبة من القوس والوتر والسهم ؟

كان الشنفرى من أبرع من أحسن استخدام القوس والسهم عن بعد . وكان من أحب العدة الحربية إلى نفسه فطبيعة حياته فى الصعلكة تستدعى ذلك البعد . ولكنه يصف لنا كيف يطلق السهم ويحدد له الهدف فيصيب الإصابة النافذة ويستقر فى جسم الخصم .(٢)

ومستبسل ضافى القميص ضممته ... بأزرق لا نكس ، ولا متعوج
عليه نسارى على خوط نبعة ... وفوق كعرقوب القطاة مدحرج
وقاربت من كفى ثم نزعتها ... بنزع إذا ما استكره النزع محلج
فصاحت بكفى صيحة ثم راجعت ... أنين المريض ذى الجراح المشحج

وقال المفضل النكرى فى الرمى والتراشق عن بعد .(٣)

رمينا فى وجوههم برشق ... تفص به الحناجر والحلوق

---

(١) حلية الفرسان ٢٢٢ .
(٢) موسوعة الشعر العربى - العصر الجاهلى - ٩١ .
(٣) الاصمعيات ٢٠١ .

كـأن النـبل بينهـم جـراد تكنفـه شآميـة خريـق

وللشماخ بن ضرار قصيدة طويلة فى وصف القوس منذ كانت نبتة صغيرة وحسن رعايتها حتى إستوت أداة قتالية يحسب المقاتلون حسابها . ويتكثرون للفوز بها لأنها عدة قوية لا غناء لهم عنها . ويصف فعلها مع السهم حين يصوبه الحاذق الماهر إلى صدور العدى فينال منهم مأربه . ويشيد بها كقوة محاربة فتاكة (١) فيحكى عن نفسه أنه :

قليـل التـلاد غـير قـوس وأسهـم كـأن الذى يرمى من الوحش تارز
مطـلا بـزرق ما يـداوى رميتهـا وصفـراء من نبع عليهـا الجلائـز
تخيرها القـواس من فـرع ضالـة لها شذب من دونهـا وحواجـز
نمت فى مكان كنها فاستوت بـه فما دونهـا من غيلهـا متلاحـز
إذا نبض الرامون عنهـا ترنمـت ترنم ثكلى أوجعتهـا الجنـائز
هتوف إذا ما خالط الظبى سهمهـا وإن ريع عنهـا أسلمتـه النـواقز

وما أحسن ما جعلها الشنفرى من عدته التى يتقى بها خطراً داهماً أو وحشاً كاسراً . أو مغيراً يتربص به . فهى تؤمن له ما يفزعه متى أحسن استخدامها وحكم عقله من أن ينال من خصمه بها متى بعد عنه وأرسل منها السهم إليه يفجره (٢) . وجعلها من خيرة صحابته الدفاعية :

وإنى كفانى فقد من ليس جازياً بحسنى ولا فى قـربه متعلـل
ثلاثـة أصحـاب فـؤاد مشيـع وأبيض إصليت وصفراء عيطـل
هتوف من الملس المتون يزينهـا رصائع قـد نيطت إليهـا ومحمل
إذا زل عنها السهم حنت كأنهـا مرزأة عجـلى تـرن وتعول

(١) ديوان الشماخ بن ضرار ٤٦ .
(٢) لامية العرب (أعجب العجب فى شرح لامية العرب) ١٤ .

ويبرز الشاعر الجاهلى أوس بن حجر مواصفات القوس الضاربة وما ينبغى أن تكون عليه من طول مناسب . حتى يتمكن من المقاتلة ويمسك عليها ببأس وقوة ويمدد منها السهام فتسمع أصواتا قتالية معينة صادرة منها .(١)

فجردها صفراء لا الطول عابها ولا قصر أذرى بها فتعطلا
كتوم طلاع الكف لا دون فلها ولا عجسها عن موضع الكف أضلا
إذا ما تعاطوها سمعت لصوتها إذا انبضوا عنها نئيا وأزملا

وتصوب السهام وتطلق عن بعد حتى تفزع من تصيب وترمى من يجوزه بالهلع والخوف فهى عدة قتالية فردية جماعية . تقتل الفرد وتفرق الجماعة وتلبسهم الفزع منها وأمثالها . وتلك ثنائية فى وظيفتها . وهذا الطفيل الغنوى يعطى صورة عن قوس صوب منها السهم الماضى الأصيل فأصاب وأفزع القوم فى ديارهم عن بعد من الرامى :(٢)

فما برحوا متى رأوا فى ديارهم لواء كظل الطائر المتقلب
رمت عن قسى الماضى رجالنا بأجود ما يبتاع من نبل يثرب

ويعتبر من أحسن من وصف السهام والقوس فى الشعر الجاهلى الشاعر الشنفرى ، وكان من عادة الشعراء الجاهليين أنهم يكثرون من أوصاف السهام فى جميع مراحلها منذ بريها وتركيب الريش فوقها حتى لحظة استخدامها . وهم فى كل تلك العمليات إنما يسعون إلى غرض واحد : وهدف مقصود هو اعداد هذه الهدية إلى أعدائهم الذين يبغضونهم فيصوبونها إلى قلوبهم .(٣)

---

(١) ديوان أوس بن حجر ٨٨ .
(٢) شعر طفيل الغنوى ١٣ .
(٣) الفروسية فى الشعر الجاهلى ١٨٥ .

وهذا إيمان قوى بقوة السهام فى المقاتلة . ودورها فى أنها تبعث الراحة لضاربها والفناء والتحطيم والحسرة للمصوبة إليه .(١)

وردت بمأثور عمان وضالة ... تخيرتها مما أريش وارصف
أركبا فى كل أحمر غائر ... وأنسج للولدان ما هو مقرف
وتابعت فيه البرى حتى تركته ... يرن إذا أنزفته ويزفزف
بكفى منها للبغيض عراضة ... إذا بعت خلا ماله متعرف

وقد طبقت شهرة عنترة الآفاق فى محاربته القوم بالسيف والرمح وأبلى بهما البلاء الحسن . وكانت له جولات قتالية مع قومه يستخدمون فيها القوس والسهام ببراعة وحنكة حربية كما كانت حال السيف والرمح معهم فيقول فى يوم عراعر عندما حقق النصر وقومه .(٢)

علالتنا فى كل يوم كريهة ... بأسيافنا والقرح لم يتقرف
أبينا فلا نعطى السواء عدونا ... قياما بأعضاد السراء المعطف
بكل هتوف عجسها رضوية ... وسهم كسير الحميرى المؤنف

هـ — العدة الثلاثية السيف والرمح والسهم :—

وكما تحدث الشعراء الجاهليون عن السيف والرمح كعدة لازمة لهم زاد بعضهم وتحدث عن الفرس والسيف والرمح وعدة السهام كدعامتين من دعائم القتال . الحيوانية والحربية . فإذا أضاف إليهما بأسه وشجاعته حقق ما يصبو إليه كل شجاع مقدام .

وهذا أوس بن حجر يصرح فى قصيدة طويلة بهاتين الدعامتين وأنهما

---

(١) ديوان الشنفرى ٣٨ .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٣٨٣ .

خير ما يقتنيه الإنسان فى حياته اتقاء غدر الأعداء ورد كيد الغاصبين ويوصف كل أداة وظيفتها الرئيسية . ثم يجمع بينهم فى حكمة الفارس وحنكته ودرايته الحربية ودربته حتى يحقق النصر المبين .(١)

وإنى امرؤ أعددت للحرب بعدما ... رأيت لها نابا من الشر أعصلا
أصم رديناً كأن كعوبه ... نوى القسب عراصاً مزجاً منصلا
وأملس حوليا كنهى قرارة ... أحس بقاع نفح ريح فأجفلا
وابيض هندياً كأن غرارة ... تلالؤ برق فى حبى تكللا
إذا سل من غمد تأكل أثره ... على مثل مصحاة اللجين تأكلا
ومبضوعة من رأس فرع شظية ... بطود تراه بالسحاب مجللا
على ظهر صفوان كأن متونه ... غللن بدهن يزلق المتنزلا
وحشو جفير من فروع غرائب ... تنطع فيها صانع وتنبلا
إذا شد فيها النزع أدبر سهمها ... إلى منتهى من عجسها ثم أقبلا
تخيرن أنضاء وركبن أنصلا ... كجمر الفضا فى يوم ريح تزيلا
فذاك عتادى فى الحروب إذا التظت ... وأردف بأس من خطوب وأعجلا

ومن العدة الثلاثية ما ذكر فى أيام العرب التى كان فيها القتال مستعرا بالسهام يوم الوقيط ؛ وكان لبكر من ربيعة على تميم ؛ وهو مكان صلب يستنقع فيه الماء ، وبعد مناوشات حربية طالت بين كل فريق ويسانده حلفاؤه شد عليهم وراز التيمى وجعل يقاتلهم ويرتجز :(٢)

نحن حمينا يوم لا يحمى بشر ... يوم الوقيط والنساء تبتقر

---

(١) ديوان أوس بن حجر ؛ وشعراء النصرانية ٤٩٤ .
(٢) أيام العرب ١٧٤ .

قوس تنقاها من النبع وزر ... ترن إن تنازع الكف الوتر
حجرية فيها المنايا تستعر ... تخفزها الأوتار والأيدى الشعر

أم ثعلبة بن عمرو العبدى فيعدد لنا عدته الحربية ودعامته الحيوانية وهى الفرس . ويمضى بتلك العدة ودعامته يخفزه بأسه وشدته فى القتال . ويبرز دور كل سلاح منها على حدة كقوة ضاربة فى الأعداء .

ولكنه يظهر بصورة الإنسان الذى يعرف قدره . فإنه مهما كانت معه تلك العدة . ومهما أحسن استغلالها وتوظيفها الوظائف القتالية لا تنجيه من الموت متى حان حينه . فهو يدرك أنه ميت لا محالة ولكن بعد أن يعطى تلك العدة حقها من القتال والدفاع .(١)

وشوهاء لم توشم يداها ولم تذل ... فقاظت وفيها بالوليد تقاذف
ببيضاء مثل النهى ريح ومدة ... شآبيب غيث يخفش الأكم صائف
ومطرد يرضيك عند ذواقه ... ويمضى ولا ينآد فيما يصادف
وصفراء من نبع سلاحى وصيفة ... وابيض قصال الضريبة جائف
عتاد مرىء فى الحرب لاواهن القوى ... ولا هو عما يقدر الله صادف
به أشبد الحرب العوان إذا بدت ... نواجذها وأحمر منها الطوائف

و - الزى الحربى عدة وقائية :-

بعد الحديث عن الدعامة القتالية ممثلة فيما كان يستخدمه أبطال الحروب ورجالها من العصر الجاهلى من عدة قتالية كالسيف والرمح والسهم وخلافها لابد من الحديث العاجل عن الزى الرسمى الذى كان يلبسه رجال الحروب أثناء المقاتلة على جسومهم ورءوسهم . حتى يقيهم الطعن والضرب ويصد

(١) شرح المفضليات ٢ / ٩٩٧ .

عنهم السهام وما يقذفون به . فتلك العدة وقائية وإن كانت لازمة وقت المقاتلة وضرورية حتى تشارك المحاربين ودعامتهم القتالية فى صد ما يصوب إليهم .

وأهم عناصر تلك العدة الوقائية الدروع والتروس وغـــطاء الرأس . والأوليان يلبسان على اجسم كاملا . والثالثة توضع على الرأس .

والدرع ثوب حديدى ينسج من زرد الحديد . له أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراعين . ويصنع فى بعض البلدان من حلقات معدنية صغيرة متداخلة بعضها فى بعض . ويلبس تحت الدرع ثوب من جلد الإبل أو من النسيج المبطن أشبه بوسادة تحت حلقاته المعدنية أو صفائحه . ويسمى هـذا الثوب «الشليل» وقيل هى درع قصيرة .(١)

وللدرع أسماء عديدة وفق شكله أو وظيفته . منها «الجنن» وهو ما يتقى به . «واللأمة» وهى الدرع التامة التى لها فضول ؛ فإذا كانت واسعة فهى «زغفة» ثم «نثرة» و«نثلة» ثم «فضفاضة» إذا كانت مع سعتها ضافية . فإذا كانت ضيقة فهى «السلك» فإذا كانت لينة فهى «خدباء» و «دلاص» فـإن كانت محكمة صلبة فهى «قضاء» و «حصداء» فإذا كانت طـويلة الذيل فهى «ذائل» فإذا كانت بيضاء فهى «ماذية» .(٢)

و«المضاعفة» هى المتداخلة حلقتين حلقتين . وحلقـها الزرد ؛ وهى التى قيل فيها :(٣)

مضاعفـة يغشى الأنامـل فضلهـــا كـأن فتيرهـا عيـون الجنـــادب

أو كما قال فيها عمرو بن معد يكرب .(٤)

---

(١) المخصص ٦ / ٧٠ .
(٢) حلية الفرسان ٢٢٦ .
(٣) ديوان قيس بن الخطيم ١٢ .
(٤) سمط اللآلى ٦٣ .

مضاعفة تخيرها سليم كأن قتيرها حدق الجراد

أو كما قال فيها راشد بن شهاب اليشكرى :(١)

مضاعفة جدلاء أو حطمية يغشى بنان المرء والكف والقدم

وقال عن هذا النوع الشاعر الجميح وشبهها بالملاءة التى تخفى الجسم وتقيه ـ فيمن يلبس هذا النوع :(٢)

مدرعاً ريطة مضاعفة كالنهى وفى سراره الرهم

فإذا كان الدرع من صفائح مثقوبة فهى «مسرودة» فإذا كانت منسوجة مرمولة فهى «جدلاء» فإذا كانت قصيرة فهى «شليل» و «بدن» فإن كانت صدراً بغير ظهر فهى «جوشن» والسلوقية منسوبة إلى سلوق قرية باليمن تعمل بها . «الحطمية» منسوبة إلى «حطمة» قيل إنه رجل من عبد قيس بن أفصى . و«الفرعونية» منسوبة إلى«فرعون»«الداودية» تنسب إلى داود عليه السلام .(٣)

ولقد تناول شعراء العصر الجاهلى تلك الدروع بأسمائها وأوصافها فى شعرهم لما كان لها من دور قتالى دفاعى فى حروبهم الطاحنة ومجدوا فعلها .

فمن الشعراء من افتخر بلبس الدرع وصرح بذلك للناس جميعا . وبين أنها علامة مميزة على خوض المعارك ولباس البطل المستعد دورما فبعض الناس يحملون العدة الحربية الأخرى ولا يقاتلون ، فإذا لبس أحدهم الدرع فهو رجل المعركة وسيدها . وهذا ما قاله عنترة :(٤)

عجبت عبيلة من فتى متبذل عارى الأشاجع شاحب كالمنصل

شعث المفارق منهج سربالـه لم يدهن حولا ولم يترجل

---

(١) المفضليات ٢ / ١٠٨ .
(٢) المصدر السابق ١ / ٤٠ .
(٣) حلية الفرسان ٢٢٧ .
(٤) مختار الشعر الجاهلى ٣٨٩ .

لا يكتسى إلا الحديد — اذا اكتسى ... وكذاك كل محارب مستلئم
قد طال مالبس الحديد فإنما ... صدأ الحديد بجلده لم يغسل

وافتخر مزرد (يزيد بن ضرار) بملكيته للدروع العديدة الممتازة التى تحدث الناس عنها ويشيرون اليها طالما لبسها اعجابا بشجاعة صاحبها . وحسن صنعها وقوة إحكامها فلا تنفذ الطعن أو السهام أو الضرب إلى جسمه . وتيه كل ما يفكر فيه الأبطال من وسائل للقضاء عليه . فهى ميراث خير يحتفظ به فيقول : (١)

لقد أصبحت عندى تلاداً عقيلة ... ومن كل مال متلدات غنائل
وأحبسها مادام للزيت عاصر ... وما طاف فوق الأرض حاف وناعل
ومسفوحة فضفاضة تبعية ... وآها القتير تحتويها المحابل
دلاص كظهر النون لا يستطيعها ... سنان ولا تلك الخطاء الدوخل
موشحة بيضاء دان حبيكها ... لها حلق بعد الأنامل فاضل
مشهرة تحنى الأصابع نحوها ... إذا اجتمعت يوم الحفاظ اقبائل

أما الشاعر عمرو بن كلثوم فيفتخر بأنهم أعدوا الجيش القوى المدرب ولبسوا دروع الحرب وتحدوا من ناصبهم العداء ممثلين فى سيدهم عمرو بن هند ومن والاه من رجاله وسادة قومه . وانطلق الشاعر وقومه يقولون : (٢)

علينا البيض واليلب اليمانى ... وأسياف يقمن وينحنينا
علينا كل سابغة دلاص ... ترى فوق النجاد لها غضونا
إذا وضعت عن الأبطال يوماً ... رأيت لها جلود القوم جونا
كأن متونهن متون غدر ... تصفقها الرياح إذا جرينا

(١) شرح المفضليات ١ / ٣٣٦ .
(٢) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٣٧١ .

وهـا عامر بن الطفيل يفتخر بقوته وقومه وكيف تقدموا للحرب مدرعين غير هيابين .(١)

هـلا سألت بنـا وأنت خفيـة بالقـاع يـوم تورعت نهـد
بالباسـين مـن الكماة عليهـم خلـق الحـديد يزينهـا السـرد

وهذا أبو قيس بن الأسلت يتحدث عن عدته من الدروع وتوابعها وكيف أعدها للمعركة وخرج يعرض نفسه مفتخراً بفعله .(٢)

أعـددت للحـرب موضـونة فضفاضـة كالنهـى بالقـاع
أحفـزها عنى بـذى رونـق مهنـد كالملـح قطـاع
صدق حسـام وادق حـده ومجنـأ أسمـر قـراع

ويصف عبد قيس بن خفاف درعه وقوتها فى تحمل الطعن والضرب وأنها تتلألأ فى ضوء الشمس معلنة عن صاحبها وبطولته وقدرته على تحمل أعباء المقاتلة .(٣)

وسابغـة مـن جيـاد الـدرو ع تسمع للسيف فيهـا صليـلا
كمـاء الغـدير زفتـه الدبـور يجـر المـدجج منهـا فضـولا

ويصف يزيد بن حذاق دروع قومه يوم الروع فى لقاء الأعداء بقوله(٤)

نعد ليوم الروع زغفاً مفاضـة دلاصاً وذا غـرب أحـذ ضروسا
نجيد عليها البز فى كل مـأزق إذا شهـد الجمـع الكثيف خميسا

أما ثعلبة بن عمرو فيحدثنا عن دعامته القتالية فى المعارك بادئا بالفرس

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٤٢
(٢) شرح المفضليات ٢ / ١٠٠٦
(٣) شرح المفضليات ٣ / ١٢٩٥
(٤) المصدر السابق ٢ / ١٠٥

ثم الدرع الذى يلبسه حماية من الأعداء . ويأتى ببقية العدة الحربية بعد ذلك فى قوله أنه يسوف من يستغيث به .(١)

ببيضاء مثل النهى ريح وقده ... شآبيب غيث يحفش الأكم صائف
ومطرد يرضيك عند ذواقه ... ويمضى ولا ينآد فيما يصادف

وقال النابغة الذبيانى فى وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغسانى ببنى مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان . وذكر أنهم لبسوا الدروع لحمايتهم فى المعركة وإبعاد الخطر عنهم (٢) فقال عن عدتهم الحربية :

وكل صموت نثلة تبعية ... ونسج سليم كل قضاء ذابل
علين بكديون وأبطن كرة ... فهن وضاء صافيات الغلائل
عتاد امرىء لا ينقض البعد همه ... طلوب الأعادى واضح غير خامل

أما زهير بن أبى سلمى فيمدح سنان بن أبى حارثة ويشيد بلبسه الدرع المضاعفة الحلقات القوية النسج التى تقيه كل مخاطر الحرب . ويذكر مكانة تلك الدرع كوقاية حربية ضرورية .(٣)

فلما تبلج ما فوقه ... أناخ فشن عليه الشليلا
وضاعف من فوقها نثرة ... ترد القواضب عنها فلولا
فنهنها ساعة ثم قا ... ل للوازعين خلوا السبيلا

بينما يرى الأعشى أن الدروع مع حمايتها ووقايتها للمقاتل أحيانا تكون عبئاً ثقيلا عليه وتعوق حركته . ويرى أن الشجاع المقدام هو من يتخلى عنها

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٠٠٠
(٢) ديوان النابغة ٢٠١
(٣) مختار الشعر الجاهلى ١ / ٢٩١ .

ويتقدم لصفوف غير هياب . وتلك وجهة نظر فردية لم نجدها عند شاعر غيره فقال (١) يمدح قيس بن معد يكرب :

وإذا تجـيء كتيبـة ملمـومة خرساء يخشى الذائدون نهالها
تأوى طوائفهـا إلى محمـودة مكروهة يخشى الكماة نزالها
كنت المقدم غير لابس جنـه بالسيف تضرب معلمـا أبطالها
وعلمت أن النفس تلـقى حتفهـا ما كان خالقها المليك قضى لهـا

والحديث عن غطاء الرأس للمقاتل فى العصر الجاهلى يأتى متأخراً ، لأنه مما كان يضعه المحارب على جسده من عدة وقائية ، فكان يجهز فرسه ويمتطى صهوته ويحمل سيوفه ورماحه وسهامه بعد أن يلبس درعه ثم يغطى رأسه «ببيضة» صنعت لتقيه الضرب فى الرأس من الحديد ، وقال صاحب الحلية : وما صنع للرأس من حديد منقور فهى «بيضة» و «قونسها» أشراف مقدمها . و «دائرتها» مؤخرها .

ومن أسماء البيضة «خوذة» و «تركة» و «تريكة» و «ربيعة» و «خيضعة» ويقال فى الجمع «خوذ» و «تراثك» (٢) .

وسميت البيضة لكثرة الشبه على رأس المقاتل ببيضة النعامة ، فى صفائها وإملاسها . ومن ذلك ما قاله الشاعر سلامة بن جندل عنها وكيف أنها تكفيهم القذائف الرمحية أو السهمية أو الخفق بالسيف على الرأس : (٣)

كأن النعام باض فوق رءوسهم بنهى القذاف أو بنهى مخفق

وكما كانت لها مكانة حربية وقائية احتلت فى نفوس شعراء العصر الجاهلى

---

(١) حلية الفرسان ٢٢٩ .
(٢) حلية الفرسان ٢٣٠ .
(٣) الأصمعيات ١٤٩ .

منزلة رفيعة . فمدحوها وتفننوا فى أوصافها الوقائية والجمالية . فكانت تلمع فى أشعة الشمس من شدة بريقها وتعلن عن مقدم الأبطال للمنازلة أو للمعاركة ومن ذلك ما قاله فيها عمرو بن معد يكرب حين فزع قومه صباحاً يرقون وكان لها وظيفة دفاعية ثانية إذ كانت تعكس أشعة الشمس فى عيون الأعداء فتلهبها فتعوقهم عن التقدم وتميز الجيش من العدو .(١)

صبحتهم بيضـــاء يبرق بيضهـــا إذا نظرت فيها العيون ازمهـــرت

وكذلك قول قيس بن الخطيم فى أنها كانت كالكواكب المتلألئة فى كبد السماء تبهر العيون ببريقها وتعلن عن شجاعة أصحابها .(٢)

صبحنا بها الآطام حول مزاحم قوانس أولى بيضنا كالكواكب

وكانت تخطط وتنقش ولها تعاريج وفجوات للتهوية على رؤوس المقاتلين . مما جعل المزرد يشبه انعكاس أشعة الشمس عليها بمصابيح الرهبان ضعيفة الإضاءة فى ظلام الليل . فكانت فى مثار نقع المعركة كمصابيحهم .(٣)

وتسبغة فى تركـــة حمـــيرية دلامصـــة ترفض عنها اجنادل
كأن شعاع الشمس فى حجراتها مصابيح رهبان زهتها القناديل

ز — اجتماع العدتين الحربية والوقائية :—

ومادامت الحرب قائمة احتفظ الفرسان بعدتهم القتالية فى أيديهم ومنعتهم الوقائية من دروع وخوذ على رءوسهم ؛ حتى تتبدل ألوانها مما يصيبهم من نقع المعركة ودماء القتلى المنزوفة . وتبقى الخوذ على الرءوس فترة طويلة حتى

---

(١) الاصمعيات ١٢٩ .
(٢) ديوان قيس بن الخطيم ١٣ .
(٣) شرح المفضليات ١ / ٣٤٠ .

تصيبهم بالصلع وتذهب بشعرهم . وهذا ما قاله شاعرهم أبو قيس بن الأسلت حين ذهب شعره من طول مكوث البيضة على رأسه (١) . فقال حين قدم على زوجه كبشه بنت ضمرة بن مالك — وكان قد طال مكوثه فى حرب بين بطون الأوس والخزرج قبل الإسلام — فتحت له . فأهوى إليها . فدفعته وأنكرته . فقال : أنا أبو قيس . فقالت : والله ما عرفتك حتى تكلمت فقال لها :

من يذق الحرب يجد طعمها ... مراً وتتركه بجعجاع
قد حصت البيضة رأسى فما ... أطعم نوماً غير تهجاع (٢)

وبعض الفرسان دأبوا على شد بيضة الرأس إلى الدروع خشية سقوطها عنها . أو أطاحتها بسيوف الأعداء . فامتدح الشعراء ذلك فيهم حيث كانت تذكر دروع الحرب وغطاء الرءوس . فهذا الأعشى — الذى فضل من قبل الحرب بدون درع حتى لا يثقل على المقاتل — يعود فيمدح بنى شيبان بن ثعلبة فى يوم ذى قار بخفة دروعهم ومتانتها وقوة خوذهم وحمايتها وبريقها كالنجوم .(٣)

سوابغهم بيض خفاف وفوقهم ... من البيض أمثال النجوم استقلت

وهذا عبيد بن الأبرص يمدح قومه فى الحرب بالشجاعة والإباء ورفعة المكانة والشرف المعلن عنه بما يضعونه على رءوسهم من خوذ حربية براقة تعلن عنهم غير هابين لإدراك أماكنهم . فهى نور يضىء لهم ورجالها نار على الأعداء .(٤)

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٠٠٧ .
(٢) حصت : أذهبت شعر الرأس .
(٣) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٢٥٧ .
(٤) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى — ٢ / ٥٧٨ .

شم كـــأن سنا القوانس فوقهـــم نـار على شرف اليفـاع تلهـــب

أما المنخل اليشكرى فيذكر كيف أن الفرسان فى المعركة قد شدو خوذهم إلى دروعهم حتى لا تسقط عنهم : (١)

وفـــوارس كـــأوار حـــر النـار أحـلاس الذكـــور
شـدوا دوابـر بيضهـــــم فى كـل محكمـة التقـــير

وهذا درهم بن يزيد الأوسى يجعل الخوذ حصنا للمقاتلين تقيهم أخطار القتال .(٢)

والبيض حصـن لهـم إذا فزعـــوا وسابغـات كأنهـــا النطـــف

ويمدح الأخنس بن شهاب التغلبى الشاعر الجاهلى القديم قومه بالبأس والشدة والشجاعة . وأنهم عرفوا مكمن الضعف وتمكن القتال فى الأعـداء وذلك باطاحة الخوذ من فوق الرءوس ضرباً بالسيوف ثم الضرب فى الهام تحطيماً وقتلا ، فيالها من وقاية قتالية خليقة بالتقدير متى حافظ عليها صاحبها ، فإن فارقته حلت منيته محلها (٣) فقومه :

فوارسهـا مـن تغـلب ابنـــة وائـل حمـاة كمـاة ليس فيهـا أشـــائب
هم يضربـون الكبش يـــبرق بيضه على وجهـــه من الدمـــاء سبـائب
بجأواء ينـــفى وردهـا سرعانهـــا كأن وضيح البيض فيها الكواكب

أما عامر بن الطفيل فيمدح قومه بنى عامر وبضربهم الكماة فى الحرب على الرءوس بعد تجريدهم من وقايتهم القتالية لها .(٤)

---

(١) الأصمعيات ٥٤ .
(٢) هامش فى ديوان حسان بن ثابت ٢٨٠ .
(٣) شرح المفضليات ٢ / ٧٦٢ .
(٤) ديوان عامر بن الطفيل ٣٣ .

وصبحنا عبساً ومرة كأساً فى نواحى ديارهم فاسبطرت
بشباب من عامر نضرب البيض إذا الخيل بالمضيق اقشعرت

ويشيد بقوتهم ولبسهم الخوذ على الرءوس عندما ينادى منادى الحرب وتبرق جموعهم بها وبالدروع فيملأون القلوب رهبة ورعباً .(١)

إذا نعى الحرب ناعوها بدت لهم أبناء عامر تزجى كل مخترج
عليهم البيض والأبدان سابغة يقحمون كأن القوم فى رهج
صبحن عبساً غداة الروع آونة وهن عالين بابن الجون فى درج

واتخذ المحاربون من جلود الإبل المدبوغة دبغاً طويلا وقاية لهم سموها «الترس» وسموها أحيانا بالأسمر حيث كانت تدبغ بعد وضعها فى اللبن لمدة عام فتقوى ويسمر لونها . وتتلقى الطعن والضرب وهى بأيدى الفرسان أو يضعونها وقاية على صدورهم أو رقابهم . وعلى أية حال كانت تقيهم مما ينزل بهم ولم ينس الشعراء فى العصر الجاهلى حظها من النظم مدحاً لمهمتها وتخييداً لوظيفتها الدفاعية . وإن قل نظمهم فيها منفردة فقد ذكروها ضمن المعدات الحربية الدفاعية والوقائية وجعلوا لها نصيبا من اهتمام الفارس بها كعدة ضرورية .

ومما قيل فى الترس كوقاية حربية ما قاله أبو قيس بن الأسلت (٢)

صدق حسام وادق حده ومجنأ أسمر قراح

وقال مزد (يزيد بن) ضرار يصف الترس ضمن عدته الوقائية فى الحرب وسماه «جوبا» لأنه يجوب ما بين المتلاقين به ويقطع .(٣)

---

(١) المصدر السابق ٣٦ .
(٢) المفضليات ٢ / ٨٥ .
(٣) ديوان المزرد ٤٤ .

وجوب يرى كالشمس فى طنحية الدجا

وأبيض مـــاض فى الضريبـــة قاصـــل

وقد ذكره الطفيل الغنوى فى نظمه وأبان أن أجوده ما صنع من جلـود الإبل ومكث حتى أسمر لونه وبرق فى ضوء الشمس . وكانت مادته جيدة وصنعته محكمة :(١)

فلما فنى ما فى الكنائن ضاربـــــوا على القرع من جلد الهجان المحوب

وخير ما قيل فى العدة الحربية لدى العرب منذ العصر الجاهلى ما جمعه صاحب حلية الفرسان حين قال : كانت العرب تقول : السيف ظل الموت والرمح رشاء المنية ، والسهام لا تؤامر من أرسلها . والدرع متعبة . وإنها لحصن . والترس مجن .

وإذا انفرد الفارس بشىء من السلاح نعت به . فهو بالسيف «مسيف» و«سياف» والضارب به «سائف» وهو بالرمح «رامح» وبالنبل «نايل» و«نبال» وبالنشاب «ناشب» وبالدرع «دارع» وبالمغفر «مقنع» وبالترس «تراس» .

فإن جمع السيف والنبل فهو «قارن» وإن جمع السلاح فهو «سالح» . و«الشكة» السلاح التام .

فإن كان الفارس لا سيف معه فهو «أميل» وإن كان دون رمح فهـو «أجم» وإن كان دون درع فهو «حاسر» وإن كان دون ترس فهو «أكشف» فإن كان لا شىء من السلاح معه فهو «أعزل» .

فإذا لبس الدرع تقول «استلأم» أى لبس اللأمة و«سن» عليه الـدرع : صبها عليه . «ونثلها» لبسها عليه أيضا . ... ومن لم يتمرن فى ذلك فلا تغره

---

(١) ديوان الطفيل الغنوى ١٣ .

نفسه بأن تسلك به هذه المسالك . فى معرفة ذلك كله وإمعان النظر فيه يتفاضل الفرسان . مع الاستثبات وجرأة الجبان . وشدة الحذر عند منازعة الأقران ، ومنازلة الميدان .(١)

وأرى أن أعرض لبعض نماذج الشعراء الجاهليين فى العدة الحربية مجتمعة.

فمن عدة المقاتل التى يجمع فيها بين كل الأسلحة الهجومية والدفاعية والوقائية ما صرح به راشد بن شهاب بن عامر لمن توعده فرد عليه بملكيته لتلك العدة قائلا : (٢)

ولا توعدنى إننى إن تلاقنى ... معى مشرفى فى مضاربه قضم
ونبل قران كالسيوف سلاجم ... وفرع هتوف لاسق ولا نشم
ومطرد الكعبين أحمر عاتر ... وذات قتير فى مواصلها درم
مضاعفة جدلاء أو حطمية ... تغشى بنان المرء والكف والقدم
بعادية من السلاح استعرتها ... وكل بكم فقر إلى الغدر أو عدم

وقال الأعشى عن أسلحة قومه وقوتهم الدفاعية وحمايتهم لأحلافهم(٣) :

ويمنعه يوم الصياح مصونة ... سراع إلى الداعى تثوب وتركب
عناجيج من آل الصريح وأعوج ... مغاوير فيها للأريب معقب
ولدن من الخطى فيه أسنة ... دخائر مما سن أبزى وشرعب
وبيض كأمثال العقيق صوارم ... تصان ليوم اللوخ فينا وتخشب
وكل دلاص كالأضاء حصينة ... ترى فضلها عن ربها يتذبذب

أما الحصين بن الحمام فيصف قومه وقد خرجوا الى المعركة ومعهم الدعامات

---

(١) حلية الفرسان ٢٣٨ بتصرف
(٢) شرح المفضليات ٢ / ١٠٨٠ .
(٣) مختار الشعر الجاهلى ٢ / ٢١٧ .

الحيوانية والقتالية والوقائية . ويبرز دور بطولة الفرسان وحسن استخدامهم لكل الأسلحة المتعددة حتى انزلوا الرعب فى الأعداء وحققوا النصر المؤزر(١)

نطاردهم نستنقذ الجرد كالقنا ... ويستنقذون السمهرى المقوما
عشية لا تغنى الرماح مكانها ... ولا النبل إلا المشرفى المصمما
لدن غدوة حتى أتى الليل ماترى ... من الخيل إلا خارجيا مسوما
وأجرد كالسرحان يضربه الندى ... ومحبوكة كالسيد شقاء صلدما
يطأن من القتلى ومن قصد القنا ... خباراً فما يجرين إلا تجشما
عليهن فتيان كساهم محرق ... وكان إذا يكسو أجاد وأنعما
صفائح بصرى أخلصتها قيونها ... ومطرداً من نسج داود مهما
يهزون سمراً من رماح رديئة ... إذا حركت بضت عواملها دما

أما الشاعر مزرد (يزيد بن ضرار)فيعلن عن عدته الحربية المتعددةالأنواع وما تفعله بجيوش الأعداء متى يدعو الداعى إلى قتال أو إغارة . وهو مستعد دائما لكل من يستنجد به :(٢) واختصر من مطولته تلك الأبيات .

وعندى إذا الحرب العوان تلقحت ... وأبدت هواديها الخطوب الزلازل
طوال القرا،قد كاد يذهب كاهلا ... جواد المدى والعقب والخلق كامل
أجش صريحى كأن صهيله ... مزامير شرب جاوبتها جلاجل
متى ير مركوبا يقل باز قانص ... وفى مشيه عند القياد تساتل
ومنسوحة فضفاضة تبعية ... وآها القتير تحتويها المعابل
دلاص كظهر النون لا يستطيعها ... سنان ولا تلك الخطاء الدواخل
موشحة بيضاء دان حبيكها ... لها حلق بعد الأنامل فاضل

---

(١) موسوعة الشعر العربى — العصر الجاهلى — ٦٥٨ .
(٢) شرح المفضليات ١ / ٣٢٠ .

وأملس هندى متى يعل حده ... ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل
إذا ما عدا العادى به نحو قرنه ... وقد سامه قولا فدتك المناصل
ومطرد لدن الكعوب كأنما ... تغشاه منباع من الزيت سائل
له فارط ماضى الغرار كأنه ... هلال بدا فى ظلمة الليل ناحل

أما عدة امرىء القيس الكندى فهى الفرس والسيف والرمح والدرع . وكلها قد تعودت الطاعة وتأدية رسالتها القتالية بأمانة وشجاعة فائقة حتى مكنته من أن يهدد من يوجه إليه مجرد اللوم أو يلمح له بشر .(١)

وأعددت للحرب وثابة ... جواد المحثة والمرود
سبوحاً جموحاً واحضارها ... كمعمعة السعف الموقد
ومطرداً كرشاء الجزو ... ر من خلب النخلة الأجرد
وذا شطب غامضاً كله ... إذا صاب بالعظم لم ينأد
ومسرودة السلك موضونة ... تضاءل بالطى كالمبرد
تفيض على المرء أرادتها ... كفيض الأتى على الجدجد

أما عبد قيس بن خفاف البرجمى فعدته هى السيف والرمح والدرع (٢) وشاعريته :

فأصبحت أعددت للنائبا ... ت عرضاً بريئا وعضباً صقيلا
ووقع لسان كحد السنان ... ورمحاً طويل القناة عسولا
وسابغة من جياد الدرو ... ع تسمع للسيف فيها صليلا
كماء الغدير زفته الدبور ... بجر المدجج منها فضولا

---

(١) أيام العرب وأثرها فى الشعر الجاهلى ١٦٢ .
(٢) المفضليات ٢ / ١٨٦ .

ولقد أبدع الشاعر الفارسي عنترة العبسي في وصف عدة الحرب بأيدي المحاربين . ومقدمهم للمعارك ومشاركتهم في القتال بها في أكثر من قصيدة . وقد اشتملت الأبيات التالية على الوصف الموجز لرجاله وعدتهم القتالية والتي حققوا بها النصر(١) فهم مذكورون في كل موقف ومن أبرز صورهم أنهم :

صبر أعدوا كل أجرد سابح ونجيبة ذبلت وخف حصاها
يعدون بالمستلئمين عوابساً قوداً تشكي أينها ووحاها
يحملن فتيانا مداعس بالقنا وقراً إذا ما الحرب خف سواها
من كل أروع ماجد ذي صولة مرس إذا لحقت خصمي بكلاها

أما النابغة الذبياني فيحدثنا عن رحلة الحرب وكيف يستخدم المحارب الدعامة الحيوانية ممثلة في الإبل والخيل . وكذلك الدعامة الحربية من سيوف ورماح ودروع . ويدخل بها المعركة مدفوعاً برغبة رد كيد العدو والنيل منه وذلك في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وقد مدحه الشاعر ومجد فعله وأظهر كفاءة عدته القتالية التامة فقال :(٢)

مقرنة بالعيس والأدم كالقطا عليها الخبور محقبات المراجل
وكل صموت نثلة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائل
علين بكديون وأبطن كرة فهن وضاء صافيات الغلائل
عتاد امرىء لا ينقض البعد همه طلوب الأعادي واضح غير خامل
تحين بكفيه المنايا وتارة تسحان سحا من عطاء ونائل

وخلاصة هذه اللقاءات الحربية والمعارك الضارية التي كانت تنشب بين القبائل العربية في العصر الجاهلي أنها كانت تخلف المرارة والكآبة والألم لكل

---

(١) مختار الشعر الجاهلي ١ / ٤٠٨
(٢) ديوان النابغة ٢٠٠ .

من المنتصر والمهزوم . ولكن بنسب متفاوتة . فمن انتصر قدم العديد من الضحايا حتى حقق ذلك النصر . ومن كتبت عليه الهزيمة ذاق وبال أمره وخسر عدته وجيشه إن لم يكن معظمه . فالحرب في حالتيها مرة المذاق أكولة الرجال مقصرة الآجال مدمرة لكل عامر هادمة لكل قائم .

ومن هنا كانت نظرة الشعراء إلى الحديث عن نهاية المعارك . فكما تكون نهاية كل شيء الفناء . كانت نهاية المعارك دوماً كؤوساً مرة قدمها المنتصرون للمهزومين وارغموهم على شربها حتى قضت عليهم وأهلكتهم .

وعن الكأس المرة تحدث أكثر من شاعر نتيجة لما نزل بالمهزومين من أن طعم الكأس مكروهة حسواتها كالعلقم . وهذا ما قاله بشر بن حازم(١) :

حتى سقيناهم بكأس مرة مكروهة حسواتها كالعلقم

وهذا الأعشى يتحدث عن لذة الانتصار ومرارة الهزيمة بكأس الموت الذي لا يطاق طعمه : (٢)

أذاقهم كأساً من الموت مرة وقد بذخت فرسانهم وأذلت

وكذلك يفتخر قيس بن الخطيم بأن قومه أذاقوا بني عوف كؤوس الموت بانتصارهم عليهم وإذلالهم حتى لم تقم لهم قائمة بعد ذلك اليوم الذي جمعوا فيه حلفاءهم وظنوا أنهم غالبون لقوم قيس : (٣)

سقيتا بالقضاء كؤوس حتف بني عوف واخوتهم تزيدا

أما سنان بن أبي حارثة يهدد خصمه ويتوعده بكأس الموت إن فكر في

---

(١) موسوعة الشعر العربي – العصر الجاهلي ٤٥٣ .

(٢) مختار الشعر الجاهلي ٢ / ٢٥٧ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ٥٧٣ .

أن يقاتلهم أو الإساءة إليهم .(١)

قل للمثلم وابن هند بعده إن كنت رائم عزنا فاستقدم
تلق الذى لاقى العدو وتصطبح كأساً صبابتها كطعم العلقم

أما عبيد بن الأبرص فيعلن عن فوز قومه على الخصوم وسقياهم بكأس الموت المرة (٢) :

حتى سقيناهم بكأس مرة فيها المثلم ناقعاً فليشربوا
بمعضل لجب كأن عقابه فى رأس خرص طائر يتقلب

ويضيف المهلهل أنه وقومه أذاقوا تيم اللات احدى قبائل ربيعة كأس الموت مرة وزاد أنها ألهبتهم كالنار التى لا تبقى ولا تزر .(٣)

وسقيت تيم اللات كأساً مرة كالنار شب وقودها بضرام

وينشر الشاعر عامر بن الطفيل وقومه الرعب وكأس المنية فى أنحاء عبس حين فاجأهم بجيش جرار (٤) .

وصبحنا عبساً ومرة كأساً فى نواحى ديارهم فاسبطرت

ويقول جساس بن مرة إنه وقومه صرفوا إلى الأعداء كأساً من الموت فمن رشف منها أو قاربها كانت نهايته (٥)

صرفت إليه نحساً يوم سوء له كأس من الموت المتاح

ويضيق المجال عن احتواء كل ما ذكره الشعراء فى العصر الجاهلى من نهاية لمعاركهم بالإنتصار أو الذلة والمهانة للأعداء ، فإنها الحرب وتلك نهايتها فى كل زمان ومكان .

---

(١) شرح المفضليات ٣ / ١٢٠٥ .
(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ٥٢ .
(٣) شعراء النصرانية ١٧٤ .
(٤) ديوان عامر ابن الطفيل ٣٢ .